في تربية النفس

لا جدال في ان المعرفة هي خير مطية في مراحل المثل الاعلى ، لكن لله ، ما اكثر الذين يعرفون الخير ولا يتبعونه ... ما اكثر الذين تعوزهم الارادة الكافية لبذل جهد دائم مستمر يكون من شأنه التغلب تغلباً حاسماً ، على الملكات الرديئة والاهواء السيئة . لذلك كان ما يطلب الى المربي اولاً ، ان يعلم تلاميذه كيف يريدون ، فيجعل منهم اناساً بوسعهم الحكم حكماً صحيحاً على الحوافز والاسباب الدافعة الى العمل ، والتمييز الواعي الحصيف بين السبل المختلفة المتعارضة ، لاختيار السبيل الارشد .

ويطلب الى المربي ثانياً ، وقد علم تلاميذه كيف يريدون ، ان يعلمهم المحبة . فالشر كل الشر ان يعتقد الناس بأن ثمة حالات يستطيع الانسان فيها ان يعامل اخاه دون محبة . فهذه الحالات لا وجود لها مطلقاً . للمرء ان يقطع غصناً ، او يطحن حبة القمح او يحرق الحطبة ، دون ان يختلج قلبه بشعور ما . اما ان تزل بانسان قدمه ، على مشهد من انسان آخر — سواء أكان مجهولاً منه ام معروفاً — فتنطلق عفواً ، من اعماق المشاهد ، صرخة : « الله ! » ومعناها : « وقيت شر العثار » فذلك امر طبيعي ، وتلك هي صرخة المحبة العفوية المتبادلة بين الانسان واخيه الانسان . الى انماء هذه العاطفة العفوية وتغذيتها ، يجب ان تتوجه عناية المربي ، حتى تصبح عاطفة حب خالص . ان المحبة هي القلب النابض في جثمان البشرية ، وسكون القلب النابض هو الموت في شر مظاهره .

وليس هذا النوع من التثقيف او تربية الذات الانسانية حلماً من الاحلام ، او وهماً من الاوهام . ففي النفس البشرية مزيتان تجعلان ذلك في حكم المستطاع ، ان لم نقل في حكم الميسور : للانسان اولاً عقل يمتاز بالانطواء على ذاته ، والرجوع اليها بالتدبر والروية ، وهذه هي مزية درس الانسان لذاته . وثانياً يمتاز بمحاسبة النفس وتهذيبها واصلاحها ، وهذه هي مزية تكوين الذات .

وهكذا فالمرء الذي يستعيد ذكرى اعمال سلفت ، ويلاحظ اعمالاً تحصل في حاضره ، فيقابل بين ما فعل ويفعل ويهم ان يفعل ، يستطيع التعرف الى ذاته . لكن مزية الانسان الفضلى هي ، بعد تعرف ذاته ، قدرته على تكوينها وتوجيهها في سبل الخير والمحبة .

« الاديب »

القول في هزلنا

بقلم محمد كرد علي
رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق

الهزل ينفع في الاحايين ، والجد نافع كل حين . والهزل يدخل المرح على النفوس المتعبة ولا يستغنى عنه الانسان وهو عون له على الجد ، فاذا استكثر منه يسمج ولا ينفع . ويغلب الهزل على من كان تحصيل الرزق هيناً في ارضهم ولهم بعض الفراغ يخلون فيه الى اصحابهم واهلهم ، وربما كانت الدعابة من شأن اهل المناطق الحارة اكثر من المناطق الباردة . والمرء على كل حال مغلوب لهوائه ودم آبائه .

يكثر الهزل في الحواضر لانها لا تخلو ابداً من متبطلين يعيشون على الهامش عيشاً اتكالياً او من اناس يكون عيشهم رغداً بدون سعي عظيم . ويدعوهم اعتدادهم بانفسهم الى الاسترسال في التهكم ويساعدهم على ذلك دعواهم انهم تحضروا اكثر من سكان الارباض والارياف والصحارى والجبال ، ودقت اذواقهم ورقت حواشيهم وحسن هندامهم وزيهم ، ولطفت مجالسهم واسمارهم . يهزون بمن لايرضيهم شكله وثوبه ، ولا تروقهم لهجته وحركته ، يسخرون من الفلاح والبدوي ، ومن الغريب والطارئ، ويتحاشون السخرية بمن وقر في نفسه انه متمدن وجار من امة عرفت بانها من الشعوب الراقية .

داء الاستهزاء قديم في العرب . فقد حدثنا القرآن ان من ضروب الايذاء الذي كانت قريش تؤذي به الرسول عليه الصلاة والسلام في مبدأ دعوته الاستهزاء به فكفاه الله شرهم وخذل المستهزئين . ورأينا اهل الشام اي العرب الذين نزلوها في الفتح ، منذ القرن الاول للهجرة يستهزئون برجال الدولة ويلقبون الخلفاء فمن دونهم القاباً غريبة يقصدون بها السخرية منهم والولع بهم .

ومن جعلوا الهزل ديدنهم واغرقوا في استعماله لا ينتهون فيه الى حد متى بدأوا به ، وقد يؤدي هزلهم الى ايلام من يسخرون منه وايذائه بماله وجسمه ، يمثلون ما يخطر لهم من المساخر اقبح تمثيل ، يعبثون بمن يهون عليهم العبث به لايبالون عاقبة ما يجنون اذا كان في هزوهم ذريعة الى ضحكهم واضحاك رفاقهم . ومثال هذه السخرية المؤذية ما ارتكبه ضيفان الشاعر الواساني في قرية جرايا غربي دمشق ووصفه في قصيدته الرائعة التي اوردها صاحب اليتيمة . ومن الغريب ان معظم ما اجترحه اولئك الهازلون من قبل اكثر من الف سنة مازال مألوفاً الى اليوم في بعض البيئات الشامية .

رأيت وسمعت ان من الهازلين من يشق معطف من يهزأ به او صدرته او قبعته او قفطانه او سراويله او طربوشه او عمامته او حذاءه او نعله او يمزقها جميعاً . ومنهم من يقطع له لي نارجيلته او يكسرها او يسرق له او يكسر كأساً او اناء او شوكة او ملعقة او تحفة طريفة او يمزق له قماشه او رياشه او لحافه او فراشه او طنفسته او ستارته او فوطته . ومنهم من يبلغ به حب الاذى اذا وجد صاحبه مستلقياً او نائماً ان يشبك احد اطرافه بخيط او دبوس فتتأثر بفعله بعض اعضائه متى تحرك ، ومنهم من يطعم المستهزأ منه لقمة مغموسة بشيء يضر بصحته او يغشي نفسه او ينشقه مادة يكثر بها سعاله وعطاسه الى آخر مخترعاتهم السفيهة .

ان من لم يرزق حظاً من ادب النفس لا يدري كيف يهزل الهزل الجميل ، ولا كيف يتهكم التهكم الذي يسر ولا يسوء ، وهزل الناس فرع من ادبهم يسمو بسموه وينحط بانحطاطه . ومن الهزل الفظيع ان بعض المفرطين في هزلهم قد يختلقون اكاذيب مضرة تجوز على سامعها كأن ينعون اليه زوجته او اباه او امه او عزيزاً عليه وهم يظهرون الأسى على ما حل به فيلطمون ويلطم . وهذه (المقالب) (واحدها مقلب كما يسميها المصريون او (التراكيب) واحدها (تركيبة) كما يدعوها الشاميون) خالية من الذوق وفيها الفظاظة والفظاعة كلها ، لا يقدر فيها اصحاب الهزل مدى الخطر الذي ينشأ من هزلهم هذا .

عرفت رجلاً في مصر جمع الى نبل المحتد جميل الادب ، وعرف بابتداع (المقالب) يقصد بها ادخال المرح على اصحابه وتسليتهم فيما

لا تهتز له اعصابهم كثيراً . كأن يوهم بالواسطة عقيلة صديق له ان سير زوجها هذه الايام فيه ما يدعو الى الريبة فتغضب عليه وتعاقبه وقد يدعو جماعة من معارفه الى تناول الطعام في دار صديق لهم يوم كذا فيخف المدعوون كلهم الى دار صاحب الدعوة المزيفة في الوقت المعين .

ورأيت في دمشق رجلاً صرف عمره وهو يهزل بعض ساعات النهار والليل مع اصحابه ومعارفه ، واصحابه كثر تختلف درجاتهم في المدنية والثقافة يخلب البابهم بما يسمعهم ، وما عرفت عنه انه اغضب انساناً بهزله ، ولا اساء الى قريب ولا بعيد بنقده ، او ظهر من كلامه بذاءة وهراء ، اذا اجتمعت اليه لا تحب ان تفارقه لكثرة ما يسمعك من تهكم ويورد على مسمعك من قصص ونوادر وبعضها واقعي تطيب بما يمزجها به من افاويه ويبرزها كلها في قالب شفاف من رقيق حسه وصائب نقده ، وينسب بعض قصصه الى نفسه على الاكثر مخافة ان يرتكب كبيرة الغيبة والنميمة ، وفي هزله درس اخلاق ونقد عادات .

ومن الهزل الذي يتعدى الخصوصيات الى العموميات ما اعتاده بعضهم من قلب الجد الى هزل فيما يخالف افكارهم ويعلو عن تصوراتهم وعقولهم ، وهو من الفريق الذي يشق عليه ان يتفرد انسان بزية ويتعذر عليه ان يشاركه فيها . ولقد ينفع المستهزئون من هزؤ بهم فيكون استهزاؤهم مهمازاً يدفع بهم الى التصاب في آرائهم ويتذرعون بالعناد ويكون نجاحهم في عنادهم وصبرهم على مرارة الاستهزاء . وربما اثر تهكم المتهكمين ببعض ضعاف النفوس فصدهم عن مقاصدهم واتى على معنوياتهم او على مادياتهم او عليهما معاً . وقد تفرغ هذه الفئة الخبيثة كلامها في قالب النصح والشفقة او التخويف والتحذير ، والقصد مما تتحيل له وضع العقبات في طريق من يعز عليها محاكاتهم . وكم من قريحة ضاعت بفعل المستهزئين فما انبعثت الى الحد الذي كان مقدراً لها .

ادركت عهداً كانوا يعدون فيه الفنانين وارباب الحرف الحرة من اصحاب الصناعات الدنيئة فيهزئون بهم علناً . رأيتهم يتهكمون بالموسيقار والمغني والشاعر كما يسخرون من الممثل والصحافي والمحامي . ومن ثبت من ابناء هذه الحرفة وما بالى بما اسمع من عبارات السخرية ، يأت عليه عقد ان او ثلاثة من السنين حتى شهد بعيني رأسه اكثر اولئك الهازئين يرجعون عن هزؤهم القديم ويقرون ان هذه الصناعات شريفة لا بأس بتعاطيها لمن آنس من نفسه استعداداً لها .

وكنت استاء وانا اشهد قحة المستهزئين بالموسيقاريين والمغنين والشاعرين ثم من الممثلين والصحافيين والمحامين لم لا يهزءون يا ترى بالمزورين والمرتشين والمتجسسين والسارقين ، ولا ممن يدجلون باسم الدين ويخدعون ويضلون وينافقون ? كانهم ما وصل اليهم حديث الموسيقى والغناء والشعر وما كان لها من رفيع المنزلة في الدول العربية الاولى ، وكانهم ما سمعوا ان التمثيل والصحافة والمحاماة نوع جديد من الادب والتربية والقضاء ، يعداهله في الغرب من اعظم الناس ، ولكن كتب للشرقي ان يستريح الى هزله اكثر من جده وللغشمة من اهله ان يجدوا سبيلاً الى العبث بمن لا يستحقون الا الاكبار والاعظام .

لما شرع ابو خليل احمد القباني في دمشق باقامة بنيان التمثيل العربي وانشأ بضع روايات مسرحية من تأليفه ونظمه وتلحينه كان المستهزئون من اعداء التجدد ومن حساد فضله يصفونه باوصاف يضمنونها معنى التحقير وما زال الاغبياء الباً عليه حتى استصدروا ارادة سلطانية باقفال مسرحه فرحل الى القاهرة وهناك ظهر نبوغه . وقديماً قالوا ازهد الناس في الرجل اهله وجيرانه . ولابي خليل هذا قصة تبين بعض مكانته عند العقلاء حدثني الثقة ان احد اعيان دمشق احتفل لتلاوة قصة المولد النبوي ، وكان الوالي مدحت باشا رأس تلك الحفلة وهو حامي السيد القباني والمعجب بأدبه .

ولما حان وقت تلاوة المولد نادى الوالي صاحب الدار وقال له قل لابي خليل القباني — وكان في آخر صفوف المدعوين — ان يقرأ هو المولد . فدهش صاحب البيت من هذا الاقتراح ورأى فيه افتئاتاً على العلماء وقد جرت عادتهم ان يتكفلوا بتلاوة هذه القصة في مثل هذا الحفل يقرأونها في نسخة مطبوعة مشكولة ثم عاد الوالي فأكد امره مرة ثانية فما وسع صاحب الدار الا امتثال امره ، فارتجل ابو خليل قصة المولد واخذ يعدد اعمال الرسول في هداية للبشر بنغمة جميلة . واسلوب بديع فكان الباشا يبكي ويشهق طوال ساعة المولد . اما هو فما قصد باختصاص القباني بقراءة السيرة النبوية الا ليقول لاولئك الشيوخ الرسميين ان المسألة مسألة علم وادب لا مسألة القاب ورتب ، وان هذا الممثل الذي تسخرون منه لا تلحقون غباره في كثير من الخصائص التي تفرد بها .

ويهزؤ القدم بمن يجدون فيه مجالا للهزء في نظرهم واذا لم يظفروا بشيء من ذلك اخترعوا واختلقوا . ومن قصصهم في ذلك ان

العقد الطويل

◆

سألتُ له الله ان يهدأ — فقد تعب العقد مما رأى

رفيق لخصركِ ما ينثني — وكم قصّر العقدُ كم ابطأ

أطال على الصدر تعريجه — ودار بكنزين قد خبئا

وراح وجاء فلما اهتدى — تدلّى ولكنه أُلجئا

فيا ستّ عفواً فان الذي — تعلّق بالصدرِ ما اخطأ

على ربوتي لذة واشتهاء — أطال الاقامة واستمرأ

وعبّ من الأرجِ العنبريّ — مخافة في العمرِ ان يظمأ

وشارفَ عند سقيط القميص — نعيمَ العيون الذي لألأ

امين نخله

السيد محمد عابدين اعظم فقهاء القرن الماضي كان ابوه تاجراً وتفقه هو في الدين لا ليتولى القضاء او الافتاء ، ولا لينال الحظوة من الرؤساء والامراء، تفقه ليخدم الشريعة وينفع الناس بعلمه . ولما بدأ يؤلف وهو دون العشرين استعمل معه بعض المثبطين طريقتهم في السخرية فكان يبسم لهزؤهم ويتجاهل ما يبيتون من تهكم ، علماً منه بأنهم يمكرون به ويحاولون صده عما عقد العزم على المضي فيه . وما زال يصم اذنه عن مهازلهم حتى اشتهرت تآليفه وفتاواه في حياته وكتب له الخلود وللساخرين الخزي . ولو عبأ ابن عابدين بالمستهزئين اضاع على الامة عالم عظيم نظم لها فقهها المبعثر كما ضاع عشرات من العلماء بفعل الهازلين .

ولا ازال اذكر ما كان يلقى طلعت باشا حرب من سخرية بعض معاصريه عندما كان يفاوضهم في انشاء مصرف يحفظ للمصريين بعض ثروتهم ، ويطلعهم على مسائل اقتصادية ومالية كانت وقفاً على الاجانب يستأثرون وحدهم بثمراتها وكان كلما سخر الساخرون منه اشتد هو في جده حتى وفق الى انشاء بنك مصر ورفع عن امته عار الجهل بسياسة المال . وما افلح في الحقيقة الا لما جعل هزل الهازلين دبر اذنه وتحت قدمه .

ربما كان الهازلون في الشرق الى قحة وسلاطة قد لا تعهد عند الغربيين ، هذا اذا حكمنا على هؤلاء بمجلاتهم وجرائدهم الهزلية وذلك لانهم يرون من سنن الادب ان يكتموا افكارهم مع من لم يرتضوا حاله وقد ألفوا أن يتركوا كل امرئ وما يختار . فهم لا يحتقرون عاملاً ولا يجوزون لانفسهم احتقار شيء يرجى ان يأتي منه نفع ويقولون ان لم يكن للمرء الاستعداد الكافي يسقط عمله من ذاته، فالاولى ان تلقي عليه تبعة ما يحاول القيام به ويهل ويطاول علّ الزمن يهديه الى ما لا يعلم . ثم هم لا يقطعون عاملاً من عمله ولا يقيمون لعامل عثرة في طريقه ، وهم ولا شك اقدر منا على ضبط النفس وكتمان العواطف ومراعاة الظواهر واستعمال الجد بقدر والهزل بقدر .

محمد كرد علي — دمشق

العلم الصحيح

بقلم قدري حافظ طوقان
عضو الجمعية الملكية الاسيوية في لندن وجمعيات العلوم في
انكلترا واميركا ومجلس التعليم العالي في فلسطين

ليست الشهادات والالقاب العلمية دليلاً على وجود روح علمي في حامليها ، وليست المطالعة والقراءة مما توجد هذه الروح ، فقد تكون لدى بعض الناس شهادات ، وقد يكون لدى بعضهم القاب ، لكن ليس من الضروري ان يكون في هذا ما يدل على انهم يحملون روح العلم الذي يرشد الى الحق والهدى سائرين على ما يقتضيه هذا الروح من تحلّ باخلاق سامية وتمسك بفضائل كريمة . وقد تجد اناساً يقرأون كثيراً ويصرفون معظم اوقاتهم في المطالعة ، لكنهم لا يخرجون من ذلك بما يوسع امامهم آفاق الشعور والحكمة .

يدرس الانسان (ويحشو) دماغه بمعلومات مختلفة ، ويحاول ان يقف على تفصيلات في بعض نواحي المعرفة ، ولكن كل هذا لم يغير من روحه ولم يطبعه بالطابع الخاص الذي يمتاز به حملة العلم الصحيح ، ذلك لانه لم يهتم بالجوهر ولم يحاول ان يتعمق وان يغوص على الحقائق والمعاني ، فيخرج من هذا بعلم ناقص يكون وبالا عليه وعلى غيره ايضاً فيعتقد انه قد علم وانه قد احاط بما لم يحط به غيره ، ولهذا فهو يحتفظ به ولا يخرجه الا بثمن ، ويباهي الناس به ويجعل من معلوماته وسيلة لتعزيز جاه او مركز ، فيحتقر من دونه ويحسد من فوقه ، وقد نسي ان هذا ليس من العلم في شيء ، وان نتاج العلم الصحيح هو خلق روح العلم الصحيح من تواضع الى نكران للذات الى اخلاص للحقيقة الى تفان في الحق وتمجيد له ، ان العلم الصحيح يقضي على الانسان انْ يعمل على نشره لان في ذلك اظهاراً للحقيقة واعلاء لشأن الحق .

ان العلم الصحيح يقضي على الانسان ان لا يحقر من دونه وان لا يحسد من فوقه وان لا يماري به السفهاء او ان يميل به وجوه الناس . قال عليه السلام : « من تعلم العلم لاربعة دخل النار : ليباهي به العلماء او يماري به السفهاء او يميل به وجوه الناس او يأخذ به الامراء . »

ان العلم الذي لا يخلق في صاحبه روحاً يحليه بأسمى الفضائل ولا يجعل منه انساناً يبتغي الحق لوجه الحق وحده ، متواضعاً عاملاً منتجاً يعمل على توسيع افق المعرفة بالدرس المتواصل والتفكير في خلق الله ، والسعي لتفهم ما يجري حوله ، اقول ان العلم الذي لا يخرج صاحبه بهذا كله ليس علماً صحيحاً بل هو علم ناقص زائف لا حياة معه ولا تأثير فيه، ليس فيه متاع او نفع .

ان في العلم الصحيح حيوية وتأثيراً ولن يستطيع انسان ان يحصل على هذه الحيوية وهذا التأثير الا اذا فكر وتعمق ودقق وتابع واهتم باللباب ورمى بالقشور واخذ بالجوهر .

لا يقاس علم الانسان بمقدار ، بل يقاس بما يحدثه من حيوية وتأثير على حامله، فقد يكون علم الانسان محدوداً ولكنه نفذ به الى الجوهر وغاص على الحقيقة فوجدها ، وعندئذ نجد ان هذا المقدار المحدود (الضئيل) من العلم عاد عليه بالسمو النفسي وبالاقتراب نحو الكمال الروحي ، وهو بذلك خير من ذلك الذي قطع شوطاً بعيداً في جمع المعلومات ولم يعرف كيف يهضمها وكيف يستفيد منها ، فلم تخلق فيه روحاً علمياً ، وراح يظن انه قد علم وما درى ان الانسان ما يزال عالماً ما طلب العلم فاذا ظن انه علم فقد جهل .

ان العلم الصحيح يخلق في الانسان فضيلة العلم بما ليس يعلم ، وهذه هي من اسمى الفضائل التي يورثها العلم حامليه ، تسمو بالانسان وترفع مستواه ، لو تمسك بها الناس لما تعقدت مشاكلهم ولما زادت متاعبهم ولكانوا أنعم بالا واهدأ حالا ، ولما تخبط العالم تخبطه الحاضر بالغرور والانانية .

فليأخذ الانسان العلم صحيحاً وليحاول ان يقف على ما بلغه العلم من كشف انظمة الكون ونواميس العالم ، وليسع ان يحيط به احاطة معرفة وتدقيق ، وليبذل في الانتاج العلمي اخصب مجهود واحكمه وليعمل على اعلاء شأن الحق وتمجيده وليكن شعاره : الاخلاص للحقيقة . ففي هذا كله عبادة سامية تدفع بالانسانية الى حيث السمو والكمال .

قدري حافظ طوقان — نابلس

عبد الملك بن مروان الاديب الناقد

بقلم عبد العزيز أحمد
رئيس قسم المعاجم بمجمع فؤاد الاول
ومدير كلية فاروق الاول الشرعية ببيروت

●

حديثنا عن زعيم من زعماء العروبة وهادٍ من هداتهـا عربي الاصل ، عربي البيئة ، عربي الشعور شديد الغيرة على لغته مجد في اعلاء شأنها ، ذلك هو عبد الملك بن مروان الخليفة الاموي ، لم يكن بالمستضعف او المداهن او المأفون كما قال عن نفسه .

صارع الحوادث فصرعها ، واعترضته الصعاب فذللها ، لم شتات الامة وقد كادت الفرقة تهد كيانها وخفف من حدة العصبية وقد اوشكت ان تضعضع بنيانها .

كان ذا رأي سديد وعقل حصيف وتدبير حكيم وقدرة على تصريف الامور وبصر باللغة والادب قل ان يجتمع لمثله .

ولد بالمدينة في خلافة عثمان (٢٣ او ٢٦) وقد ربي تربيـة عالية ونشأ نشأة دينية خاصة .. حفظ القرآن الكريم ووقف على اسراره وروى الحديث عن كثير من الصحابة فكان احد فقهاء المدينة المعدودين وشغف باللغة والادب شغفاً لازمه طول حياته .

ثم ولي الخلافة فكان المصلـح الماهر والسياسي المحنك والاديب الذي لا يجارى . حياة حافـلة بجلائل الاعمال ، اقتطعت من عمر الدولة الاموية زهـاء عشرين عاماً ، عادت على اللغة والادب بالخير الجزيل . وهذا هو موضوع حديثنا ، فلسنا نعرض للسياسة واحداثها ، ولا ما بذل في سبيلهـا حتى توطد سلطانه واستقامت له الامور وانما نقصر كلامنا على مـاله مساس بالادب او مظهر من مظاهر الحرص على اعلاء شأن اللغـة مصدر السيادة القومية ورمز العزة العربية .

ومن الحق ان عبد الملك لم يكن وحده الخليفة الذي عـنى باللغة وادبها واهتم لاحياء ما كاد يندرس من تراثها بل هو احـد ثلاثة كانوا اطول خلفاء تلك الدولة في الحكم وهم معاوية وعبد الملك وهشام ابنه فقد ولي كل منهم الخلافة نحواً من عشرين عاماً وكانت لهم مشاركة قوية في الادب وجهدوا ما استطاعوا في تشجيع الشعراء والادباء وحثهم على العناية بالجمع والرواية حتى راجت بضاعتـه ونفقت سوقه .

كان عبد الملك احد هؤلاء ، وبواسطة عقدهم بما وهب من صفاء طبع ودقة حس وجميل تأديب وحسن ثقافة فعرف كيف يستفيد من ادبه وثقافته ويستغلها خير استغلال ، يرضي بذلك نزعتـه الفطرية وذوقه الفني ويحفظ بهما على الدولة كرامتها وللخلافـة هيبتها وجلالها ويرعى للعربية حقها ، يخشى كل الخشية ان يوجه اليه نقد او يلاحظ عليه نقص ويحاسب نفسه حساباً دقيقاً يصوره اجابته لمن سأله : عجل اليك الشيب يا امير المؤمنين فيقول .. كيف لا وانا اعرض عقلي على الناس كل جمعة .

وبلغ من شدة حرصه انه كان يغري الناس بتـذوق الادب وتخير الكريم من مادته . ينتهز الفرصة وخلو البال من شؤون السلطان ليتفرغ الى نفسه يمتعها بطرف الادب وجيد الحديث ، فجعل من قصره ندوة أدبية يجتمع فيها كل من راقت بضاعته الفنية فلا يجد لها نفاقاً الا عنده . يقيم المآدب العامة يحضرها النـاس من يعرف ومن لا يعرف .. فيتاح للغريب ان يرى قصر الخليفـة ويتهنأ بزاده ، وان يعرض ما ادخره لسوق الادب هذه وكان همّ الخليفة ان يستعرض ما عندهم من بضاعة يتنقل على موائدهم متحدثاً سائلاً ، فيذكي نار المناقشة والمنافسة بين الحاضرين بما يلقيه من سؤال ويقترحه من مسألة ، وكثيراً ما اختلفوا في الجـواب فكان قوله الفصل . واذا بهم قد افادوا ادباً غذّى عقولهم كما استمرؤوا طعاماً تمثلته اجسامهم .

ومن لطيف ما يروى ان اعرابياً حضر مأدبة من هذه المآدب فانكره الخادم واتهمه بأنه جاسوس فجادله الاعرابي محاولا دفـع التهمة عنه ولكن الخادم اصر عليها ونغص عليه زاده فلم ينقذه الا وقوف الخليفة بمائدته وسؤاله الحضور عن معنى بيت من الشعـر وقائله مغرياً المجيب بجائزة . فأطمعت المكافأة الخـادم واتيحت للاعرابي فرصة الانتقام فكر بالخادم ولقنه جواباً خطأ .. مـا سمعه عبد الملك حتى اغرق في الضحك وسخر منه لسوء اجابتـه فاعتذر الخادم بخديعة الاعرابي اياه وبرر الاعرابي فعلته بان الخـادم

نغص عليه ان يتهنأ بزاد امير المؤمنين ثم اجاب الخليفة الجواب الصحيح فظفر هو بالجائزة بعد ان اقترح عليه الا يدع مثل هذا ببابه فانه يشينه . هذا في مأدبه العامة اما في مجالسه الخاصة فقد كان المجال فيها اوسع والنشاط اعم ومناحي القول متشعبة فكانت مدرسة ادبية يتبارى كل بما عنده من ذخائر الادب وطرائف اللغة ويتعلم من عبد الملك ما لم يكن له به علم .

وكان بعضها مجالس للادباء عامة والبعض مجالس سمر خاصة يجتمع فيها بولده واهل بيته وخاصته يخلو معهم للمذاكرة والدرس يجلس من الجميع مجلس المرشد المثقف يستثير قرائحهم طوراً ويمتحن محفوظهم ويختبر بديهتهم حيناً .. وهو الى ذلك يحسن الاستماع لاحاديثهم حتى يملك عليه ذلك تفكيره ويصرفه الطريف منه عما بين يديه من طعام ولذا قال الشعبي : ربما حدثت امير المؤمنين وقد هيأ للقمة فيمسكها بيده مقبلاً عليّ فاقول : اجرها يا امير المؤمنين فان الحديث من ورائها فيقول الحديث اشهى اليّ منها وما كان ذلك لقصور بضاعته او ضعف مادته . فعنده منها الوفر وقد عرف الشعبي له ذلك وقدره فقال : ما جالست احداً الا وجدت لي الفضل عليه الا عبد الملك بن مروان فاني ما ذاكرته حديثاً الا زادني فيه ولا شعرا الا زادني فيه ذلك كان شأنه ومبلغ علمه فلا عجب ان رأيناه يتحدى جلساءه بالمسألة فيعجزهم ثم يتفضل عليهم بالجواب .

فحينا يسألهم اي المناديل اشرف ، فيقول القائل مناديل مصر كأنها غرقئ البيض وينبري آخر .. بل مناديل اليمن كأنها نور الربيع فيبعدون عن الغرض ويتلمسون الجواب فاذا بعبد الملك يذهب مذهباً آخر بعيداً عما فكروا فيه فهي عنده اعراف الخيل العتاق نزل عنها فرسانها للطعام والقرى ثم اعجلهم القتال فامتطوها مسرعين ولم يكن لهم ما يمسحون فيه ايديهم الا شعرها المتهدل على اعناقها ولذلك قال انما هي مناديل اخي بني سعد عبدة بن الطبيب التي قال فيها .

لما نزلنا نصبنا ظل اخبية	وفار للقوم باللحم المراجيل
ورد واشقر ما يؤنيه طابخه	ما غير الغلى منه فهو مأكول
ثمت قمنا الى جرد مسومة	اعرافهن لايدينا مناديل

فهي اذا ليست مناديل الزينة ولا تلك التي يتهادى بها حسنها وبديع وشيها وانما هو معنى اسمى وصورة شعرية اروع ، فقد اراد ان ينبه الى جمال التشبيه وحسن الوصف وما في الشعر من معنى كريم في لفظ كريم . كرم وشجاعة .

او نراه يختبر بديهتهم فيسأل جماعة من سماره وخواصه . ايكم يأتيني بحروف المعجم في بدنه وله عليّ ما يتمنى فيقول احدهم انا لها يا امير المؤمنين ويبدأ بالسرد فيقول . انف بطن ترقوة ثغر حتى ينتهي الى آخر حروف الهجاء فيختم بوجه ، يد ، ويحفز ذلك رجلاً آخر للقيام فيذكر على كل حرف من حروف الهجاء اسم ثلاثة اعضاء من جسم الانسان مبتدئاً بأنف ، اذن اسنان بطن بصر بظر ، حتى يصل الى اليـاء فيقول يمين يسار يا فوخ وينهض مسرعاً فيقبل الارض بين يدي امير المؤمنين فيقول اعطوه ما تمنى .

وهو لا يصطفي في مجالسه الا اهل الادب بل كان يتجنب مجالسه غير الادباء فكان من جلسائه شعراء امثال عمر بن ابي ربيعة وجميل وكثير ، الذي احب الخليفة ان يكون من سماره لولا اعتذاره بدمامته ، الى جانب هؤلاء الغزليين نرى جريراً والفرزدق والاخطل وعمران ابن حطان وعامرا الشعبي وغير هؤلاء كثير من شعراء وادباء معروفين فضلا عمن ادب فأحسن تأديبه من الجواري .

وقد كان عبد الملك يمثل الاديب الحق الذي ملك ناحية البيان وعرف موازين الكلام فجعل لكل مقام مقالا فهو يجتزىء باللمحة الخاطفة والاشارة السريعة ويكتفي بالتلميح عن التصريح اما اطمئنانا الى فطنة السامع او اغراء له بالتزود من الادب والمذاكرة فيه كما يجيد اختيار الشعر المناسب للمقام فيحسن استغلاله والاستشهاد به فيقع به اجمل موقع .

من ذلك انه حين هم بالخروج لحرب مصعب بن الزبير وقد لاذت به زوجه عاتكة تسأله عدم الخروج وان يوجه الى مصعب من يكفيه امره فيقول هيهات اما سمعت قول الاول .

قوم اذا ما غزوا شدوا مآزرهم	دون النساء ولو باتت باطهار

فتبكي ويبكي معها جواريها ، فيقول قاتل الله ابن ربيعة كأنه ينظر الينا حين يقول :

اذا ما اراد الغز ولم يثن عزمه	حصان عليها عقد دريزينها
نهته فلما لم تر النهى عاقه	بكت فبكي مما شجاها قطينها

ثم عزم عليها بالسكوت وخرج .

كذلك كانت له ابيات يتمثل بها في بذل النفس عند اللقاء ويعجب بها وهي قول شبيب بن العرصاء .

دعاني حصن للفرار فساءني	مواطن ان يثني علي فاشتما
فقلت لحصن نح نفسك انما	يذود الفتى عن حوضه ان يهدما
تأخرت استبقي الحياة فلم اجد	لنفسي حياة مثل ان اتقدما
سيكفيك اطراف الاسنة فارس	اذا ريع نادى بالجواد وبالحمى
اذا المرء لم يغش المكاره اوشكت	حبال الهوينى بالفتى ان تجذما

بل نراه قد اتخذ له شعاراً اذا جلس مجلس القضاء بين الناس يذكرنا بما نراه في المحاكم الان شعاراً للعدل ومناراً للقاضي وهو تلك الاية الكريمة «واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل»

انا اذا مالت دواعي الهوى ... وانصت السامع للقائل
واصطرع القوم بالبابهم ... نقضي بحكم عادل فاضل
لا نجعل الباطل حقاً ولا ... نلذ دون الحق بالباطل
نخاف ان تسفه احلامنا ... فنحمل الدهر مع الخامل

اكان عبد الملك مضطراً الى اعلان هذا الشعار . وهل كان من المناسب ان يكون شعراً .

الا انها النزعة الادبية قد سيطرت عليه فلم يستطع التحلل منها حتى في ابعد المجالس عن رواية الشعر والاستشهاد به .

هذه منزلة الشعر عنده وبراعته في الاستشهاد به في المناسبات .

اما اكتفاؤه باللمحة الخاطفة واجتزاؤه بالاشارة المحيرة احياناً فلا ادل عليها من انه كتب للحجاج مرة يقول . اما بعد فانت كسالم والسلام . فلم يدر ما هو ولم يفهم مغزاه فأطلق الرسل يسأل المراد بهذه العبارة حتى اسعف بالجواب واذا به قول عبد الله بن عمر وكان يذهب بولده سالم كل مذهب حتى لامه الناس فيه .

يلومونني في سالم والومهم ... وجلده بين الانف والعين سالم

فكان اشارة رقيقة رفيقة الى عطف الخليفة على الحجاج والرضا عنه على الرغم مما يكيد له الخصوم كذلك نراه . وقد كتب اليه الحجاج يعظم امر قطري بن الفجاءة ، يرد عليه بجملة محيرة ووصية لم يفهم منها شيئاً وتلك هي . «اوصيك بما اوصى به البكري زيدا .»

يا لله من زيد هذا . ومن البكري . وما الوصية . هذا لغز جديد حيره ودفعه الى ان يبعث من ينادي في الناس بمكافأة من يوفق الى حله فيظفر بالجائزة رجل من عامتهم ويعرف الحجاج ان الخليفة انما عنى رجلا اسمه موسى بن جابر البكري اوصى ابن عمه زيداً بوصية موضوعها اثارة الحرب ومن يكتوي بنارها اذا شبت وينصحه ان لا يعرض نفسه لها الا اذا اكره على ذلك حتى لا يذهب ضحيتها احدهما وكانت الوصية هذه الابيات .

اقول لزيد لا تترتر فأنهم ... يرون المنايا دون قتلك او قتلي
فان وضعوا حرباً فضعها وان أبوا ... فشب وقود الحرب بالحطب الجزل
فان عضت الحرب الضروس بنابها ... فعرضة نار الحرب مثلك او مثلي

فلما سمعها الحجاج قال صدق امير المؤمنين عرضة نار الحرب مثله وغيرها وغيرها كثير نكتفي منه بما قدمنا .

اذا كان هذا ادبه وتلك تلميحاته فان له من النثر الكلمات الرائعة والحكم البالغة المنبئة عن جودة رأي واصالة فكر وحسن بيان وادق ايجاز (والامثلة على ذلك كثيرة) فمن ذلك ان الحجاج كتب اليه يخبره بقوة ابن الاشعث فما زاد على ان وقع (بضعفك قوى)

وهذه وصية لبنيه حثهم فيها على التعاطف والاقدام والبر بالناس وتخير موضع الصنيعة والعفو عن المسيء يرجى منه الخير ما يتضح فيها رأيه في رجاله الذي اخلصوا له وسياسة بنيه نحوهم فقال اوصيكم بتقوى الله فانها ازين حلية وأحصن كهف ، ليعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير حق الكبير وانظروا مسلمة فاصدروا عن رأيه فانه نابكم الذي عنه تفترون ومجنكم الذي عنه ترمون واكرموا الحجاج فانه الذي وطأ لكم المنابر ودوخ البلاد واذل الاعداء ، وكونوا بني ام بررة لا تدب بينكم العقارب وكونوا في الحرب احراراً فان القتال لا يقرب ميتة وكونوا للمعروف مناراً فان المعروف يبقى اجره وذكره واصنعوا معروفكم عند ذوي الاحساب فانهم اصون له واشكر لما يؤتى اليهم منه وتعهدوا ذنوب اهل الذنوب فان استقالوا فاقبلوا وان عادوا فانتقموا . وهاك كتاباً يصور سياسة عبد الملك مع رعيته وولاته بعث به الى الحجاج وقد كتب اليه في شأن عروة بن الزبير وكان عاملا على اليمن اتهمه الحجاج بأكل الاموال فلجأ الى عبد الملك فامنه وكان رأى الحجاج الا يدنيه منه (فان الناس عبيد العصا هم على الشدة اشد استباقا منهم على اللين) فرد عليه عبد الملك : بسم الله الرحمن الرحيم ، اما بعد فان امير المؤمنين رآك مع ثقته بنصيحتك خابطاً في السياسة خبط عشواء الليل ، فان رأيك الذي يسول لك ان الناس عبيد العصا هو الذي اخرج رجالات العرب الى الوثوب عليك واذا اخرجت العامة بعنف السياسة كان اوشك وثوبا عليك عند الفرصة ثم لا يلتفتون الى ضلال الداعي ولا هداه ، اذا رجوا بذلك ادراك الثأر منك ، ولقد ولي العراق قبلك ساسة ، وهم يومئذ احمى انوفاً واقرب من عمياء الجاهلة وكانوا عليهم اصلح منهم عليك وللشدة واللين اهلون ، والافراط في العفو افضل من الافراط في العقوبة والسلام .

عرضنا طرفاً من ادب عبد الملك ولمسنا جانباً من وفرة محصوله وحسن اختياره فهل ندهش ان رأينا له ذوقاً ادبياً خاصاً يميز به جيد القول من ضعيفه ، وبصرا بمواقع الكلام ووجدنا له نظرات ثاقبة ينفذ بها الى صميم القول فاذا نقد شعراً عرف كيف يستخلص جيده من رديئه وخالصه من بهرجه وزائفه . واحسسنا ان احكامه الادبية تخضع لمقاييس دقيقة نلحظها مرسومة في ذهنه وان لم

تكن مسطورة على الورق ونستطيع ان نقرر انه تصور قواعـد للنقد تصدر عنها آراؤه في الشعر والشعراء، ويمكن ان نرسم حدودها وتلمسها واضحة جلية فلا نرى عنده تلك الآراء المبهمة والاحكام الغامضة التي جرت على السنة الادباء والشعراء من العصر الجاهلي، الى ذلك الوقت فنحن نعرف ان نقدهم للشعر ورأيهم فيه لا يكاد يعدو قولهم اجمل بيت كذا واشعر العرب الذي يقول الى غير ذلك من العبارات الغامضة ووليدة الانفعال السريع والتأثير العارض ولم يشذ عن هؤلاء الا عمر بن الخطاب فقد كانت له نظرات وآراء في الشعر والشعراء يبين فيها علة نقده ومواطن اعجابه • اما عبد الملك فقل ان يذهب مذهبهم في النقد الا في النادر والظروف خاصة •

ومقاييس جمال الشعر وجودته عنده تعتمد على تحليل صياغته ومعانيه ورجاله تحليلا فيه عمق وفيه نظر متنوع وذوق فني دقيق • فيجب ان تتخير الالفاظ ويتحرى بها مكانها ومناسبتها المقام فلا تعجبه كلمات توضع في غير موضعها او استعمال ألفاظ غير شعرية كما يرتاح الى الاكثار من ذكر اسماء الرجال او الاماكن فلها موطن آخر غير الشعر •

ولهذا عاب على عبيد الله بن قيس الرقيات ورود كلمة البطن في شعره وقد اضيفت الى اسم مؤنث وذلك في قوله :

اسمع امير المؤمنين لمدحتي وثنائها
انت ابن معتلج البطاح كديها وكدائها
ولبطن عائشة التي فضلت اروم بنسائها

فلا يرتاح الى كلمة البطن هذه فليس مكانهـا الشعر وفي ذكرها نبو الذوق وانما محلها عند الكلام على القبائل وفروعها مما يتصل بالانسان • وان كان الرواة بعد ذلك قد غيروا في النص •

لا يقف عند هذه الملاحظة بل يستبدل بكلمة البطن كلمـة « نسل » فهي بهذا المكان اجدر واكرم كذلك نراه يعيب على دريد بن الصمه الاكثار من ذكر الاسماء في الشعر حين يسمع قوله

حزينا بني عبس جزاء موفرا بمقتل عبد الله يوم الذنائب
ولولا سواد الليل ادرك ركضنا بذي الرمت والارطي عياض بن ناشب
قتلنا بعبدالله خير لداتـه ذؤاب اسماء بن زيد بن قارب

ويقول كاد دريد ينسب ذؤاب اسماء الى آدم ثم يختم ملاحظته بهذه الامنية اللطيفة : ليت الشمس كانت بقيت له قليلا حـتى يدركه •

الا ترى في هذين المثلين دليلا واضحا على دقته في العنـاية باللفظ وحسن اختياره، ولكل كلمة مع صاحبها مقام كما يقولون فلو كان الحديث عن القبائل والانساب لجاز ان يقول بطن عائشة في المثل الاول وان يطيل عمود النسب في الثاني بذكر الاباء والاجداد حتى آدم ان استطاع فهي ملاحظة دقيقـة وتهكم لطيف •

والقافية عنده حظ كبير من العناية فاذا كان لموسيقى الشعر مجالها وروعتها فان التخنث في القافية لا يليق ولهذا لم يعجبه من ابن قيس الرقيات ايضاً قافية قصيدته التي يقول فيها •

ان الحوادث بالمدينة قد اوجعنني وقرعن مروتيه
وجببنني جب السنام ولم يتركن ريشاً في مناكبيه

فلاحظ عليه انه خنث في القافية وان كانت معانى القصيدة قد اعجبته •

وقد اراد الشاعر ان يدافع عن رأيه – طبعاً – فقال : ما عدوت كتاب الله « ما اغنى عني ماليه ، هلك عني سلطانيه » ومما لا شك فيه انه لم يحسن الاحتذاء فهناك تفاوت بين المذهبين وشتان بين هذه الفواصل القرآنية في نغمتها وروحها وبين قافية ابن الرقيات

هذه بعض ملاحظاته الدقيقة على اللفظ والصياغه وهذا مذهبه في نقدها وتعليله لها وهو كما نرى صادر عن فكرة واضحة وفهم دقيق وحسن مرهف •

والمعاني كذلك اعتبارها فهي من مظاهر الحسن والجودة فهو يعرض لها بالنقد فيرى فيها خروجاً على الذوق او ضعفاً يبعد بها عن الجمال على حين ينبغي ان تكون صفات الحسن متقاربة يدعو بعضها بعضاً فاذا سمع جريرا ينشد البيت المشهور :

هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شئت ساقكم اليّ قطينا

لا يرضى عنه ويقول ما زاد ابن المراغة على ان جعلني شرطياً اما والله لو قال : لو شاء ساقكم اسقتهم اليه كما قال : كما ينفر من استهلال جرير ايضاً •

اتصحو ام فؤادك غير صاح عشية هم صحبك بالرواح

ويقول بل فؤادك انت ، مع علمه بان الشاعر يخاطب نفسه ولكنه استثقل هذه المواجهة •

ويقول يوماً لجلسائه اعلمتم ان الاحوص احمق لقوله :

فما بيضة بات الظليم يحفها ويجعلها بين الجناح وحوصله
باحسن منها يوم قالت تدللاً تبدل خليلي انني متبـدله

فما اعجبه وهي تقول هذه المقالة فهو يعيب عليه ان يصور دلال المحبوبة بقولها : « ابحث لك عن خليلة اخرى فاني مستبدلة بك غيرك ويحسب ان في ذلك الدلال وهذه المداعبة حنـاناً كحنان الظليم وقد احاط بيضته بالعناية والرعاية فجعلها بين جناحه وحوصلته •• واية مداعبة هذه التي يبتهج لمثلها متيم مغرم وانشد مرة قول نصيب :

اهيم بدعد ما حييت فان امت　　فواحزنا من ذا يهيم بها بعدي

فقال بعض من حضر اساء القول · ايحزن لمن يهيم بها بعده

فقال عبد الملك : فلو كنت قائلا ما كنت تقول · فقال :

اهيم بدعد ما حييت فان امت　　اوكل بدعد من يهيم بعدي

فقال عبد الملك انت والله اسوأ قولا اتوكل من يهيم بها بعدك

ثم قال الجيد ان يقول :

فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

ثم هو يفرق بين معنى يعجبه منه ما يتصل بالصفات النفسية والسمو الخلقي ولا يقنع بالظواهر ولا يخدع بالعرض عن الجوهر ويغضب لقول ابن قيس الرقيات :

ياتلق التاج فوق مفرقه　　على جبين كأنه الذهب

ويقول له تمدحني بالتاج كأني من العجم وتقول في مدح مصعب

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء ·

ثم يزيد الملاحظة ايضاحاً ويبين علة النقد فيقول · اعطيته المدح بكشف العجم وجلاء الظلم واعطيتني من المدح ما لا خير فيه وهو اعتدال التاج فوق جبيني الذي هو كالذهب في النضارة

ويذهب قدامة بن جعفر في كتابه نقد الشعر الى ان علة النقد ووجه العتب من اجل ان هذا المادح عدل به عن بعض الفضائل النفسية التي هي العقل والعفة والعدل والشجاعة الى ما يليق باوصاف الجسم في البهاء والزينة ·

بل نراه يعيب على الشعراء بعض تشبيهاتهم المبتذلة فيقول في مجمع منهم يا معشر الشعراء تشبهوننا بالاسد الابجر والجبل الوعر والملح الاجاج الا قلتم كما قال كعب الاشقر · ويروي ابياتاً من الشعر تتصل بالصفات النفسية والخلق الكريم فيها صدق العاطفة وصدق التصوير ·

ونستطيع ان نرى امثلة مختلفة تصور نقده للمعاني فمجال القول فيها اوسع والحديث عنها كثير فهي من روح الشاعر وعقله وهي صورة نفسية ووصف لشعوره وكثيراً ما يكون على ذلك مأخذ ·

بل لقد فطن عبد الملك الى فروق ادق تتصل بالشعور والاحساس هداه اليها ذوقه الفني وثقافته الادبية الواسعة · فالتفرقة بين شعر وشعر قد يكون اساسها العاطفة الحادة · والاحساس الدقيق وصدق الشعور ، فمن الشعر ما هو رقيق يسحر الالب ويعلق بالقلب من غير استئذان · وهناك عاطفة صادقة توحي بمدح أو فخر ، واحساس قوي بالجمال يلهم الابداع في التصوير فيكون اروع مما يتكلفه الناظم او يحاوله الشاعر ·

ولهذا يعجب بشعر كثير لرقته وصدق عاطفته وهو عنده يسبق السحر ويغلب الشعر وكان يخرجه الى مؤدب ولده مختوماً يرويهم اياه ويردده · ويوافق من يذهب الى ان عمران بن حطان افضل من غيره لانه يقول وهو صادق فيفوق غيره وهم كاذبون وحين يسمع ابياتاً لشاعر اسمه ابن بن خزيم الاسدي في وصف النساء منها ·

رأيت الغواني شيئاً عجابا　　لو آنس مني الغواني الشبابا
ولكن جمع العذارى الحسان　　عناء شديد اذا المرء شابا
ولو كنت بالمدح للغانيات　　وضاعفت فوق الثياب ثيابا

يقول ما وصف احد النساء مثل صفتك ولا عرفهن احد كمعرفتك · فاذا سمع بعد هذا قول علقمة بن عبدة

فان تسألوني بالنساء فانني　　خبير بادواء النساء طبيب

يقول : قد لعمري صدقتنا واحسنتنا

فافضل الشعر عنده اصدقه ولا يعجبه ما كان عن رغبة او رهبة فاذا سمع مدحا للاقيشر سر به وقال : هذا المدح لا على طمع اوفرق ، ويبلغ منه الاعجاب مبلغه فيقول : واشعر الناس الاقيشر

وميزان النقد عنده كما رأينا يتأثر بالشعور ويخضع لمعاني المروءة والوفاء وكرم النفس والاعتزاز بالكرامة وكل ما ينبيء عن سمات الرجولة · ولا يرضى عن شعر يشيع فيه خور النفس وضعف العزيمة ولو كان جميل التصوير بديع الخيال ، فحين يسمع قول الشماخ لناقته وهو يمدح عرابة بن اوس

اذا بلغتني وحملت رحلي　　عرابة فاشرقي بدم الوتين

فيقول : بئست المكافأة حملت رحله وبلغته بغيته فجعل مكافأتها نحرها

كما يقول لعمر بن ابي ربيعة عندما سمع قوله :

أأترك ليلى ليس بيني وبينها　　سوى ليلة اني اذاً لصبور

بئس المحب انت تركتها وبينك وبينها غدوة فيعتذر عمر بقوله «يا امير المؤمنين انها من غدوات سليمان غدوها شهر ورواحها شهر» فيبتسم عبد الملك ولا يقنع بالجواب ·

فهو قد رأى في الاول مظهراً من مظاهر عدم الاعتراف بالجميل وسوء المكافأة وفي الثاني خلواً من معنى اللوعة ولواعج الشوق التي تقض مضاجع المحبين وتؤرق ليلهم ·

كما لا يرضى عن قول شاعر ثقيف في الاسلام :

فامنك الشباب ولست منه اذا سألتك لحيتك الخضابا

الخ ·· الابيات · ويفضل عليه شاعرهم في الجاهلية لانه يقول :

والشيب ان يظهر فان وراءه　　عمراً يكون خلاله متنفس
لم ينتقص مني المشيب قلامة　　ولما بقي مني الب واكيس

فلا ينبغي ان يصور الشعر خور النفس وضعف الجسم وليس

من الضروري ان يصحب تقدم السن وهن القوة، ففتوة القلب وصدق العزيمة لا يضعفها شيء . وقد رأينا انه يفضل ما يمثل الاعتزاز بالنفس او يشعر بالحلم ويحث عليه فتعجبه ابيـات معن بن اوس المزني ويفضلها على غيرها مما سمعه مرة في مجلسه لمـا تضمنته من المعاني الكريمة فانما هي رمز للحلم ومصانعة المسيء. وصلة الرحم ولين الجانب حتى يسلس له قياد النافر ويكبح جماح الشـارد .

وهذه الابيات هي :

وذي رحم قلمت اظفار ضغنه ... بحلمي عنـه وهو ليس له حلم
اذا سمته وصل القرابة سامني ... قطيعتهـا تلك السفاهة والظلم
ويسعى اذا ابني ليهدم صـالحي ... وليس الذي يبني كمن شأنه الهدم
يحاول رغمي ولا يحـاول غيره ... وكالموت عندي ان يحل به الرغم
فمـا زلت في لين له وتعطف ... عليه كما يحنو على الولد الام
لاستل منـه الضغن حتى سللته ... وان كان ذا ضغن يضيق به الحلم

وهكذا نرى فيها صورة نفسه ومرآة تنعكس عليها اخلاقه ويوافق سياسته .

على انه لن ينسى ان لكل شيء حداً فلا يرضى ان يضيع له حق او ينام على ضيم ويزن الامور ويواجهها بما تستحق من عناية وينفذ فيها رأيه القاطع ويضع لكل شيء حداً ولذا يطرب اذا سمع قول الاعشى ربيعة .

وما انا في امري ولا في خصومتي ... بمهتضم حقي ولا قـارع سني
ولا مسلم مولاي عند جنـاية ... ولا خائف مولاي من شر ما اجني
وان فؤاداً بين جنبي عالم ... بما ابصرت عيني وما سمعت اذني
وفضلني في الشعر واللب انني ... اقول على علم واعرف من اعني
فاصبحت اذ فضلت مروان وابنه ... على الناس قد فضلت خير اب وابن

ويقول : من يلومني على هذا ويكافئه ، فقد عرف كيف يصور عواطفه وشعوره ويرسم اخلاقه وتصرفاته . ويعجبه المعنى الذي يحيط بالممدوح من جميع اطرافه فرداً او جماعة فيفضله على سواه فعندما يسمع بيت زهير :

على مكثريهم رزق من يعتريهم ... وعنـد مقليهم السماحة والبذل

يقول : ما ترك زهير غنياً ولا فقيراً الا وصفـه ومدحه ولم يخل مكثراً اومقلاً من بر وفضل ونزاه وقد اغرى جريراً والاخطل والفرزدق بالمال ليقول كل اجود ما عنده في مدح نفسه ، يفضل كذلك المعنى الشامل . فعندما يسمع قول الفرزدق :

انا القطران والشعراء جربى ... وفي القطران للجربى شفاء

وقول الاخطل :

فان تك زق زاملة فـاني ... انا الطاعون ليس له دواء

وتعقيب جرير :

انا الموت الذي اتى عليكم ... . ليس لهارب مني نجـاء

يكافىء جريراً ويقول : لعمري ان الموت يأتي على كل شيء . فهو معجب بالمعنى الاخير لانه ادق واشمل . وهو ميال الى المفاضلة بين الشعراء وبين فنون خاصة من الشعر يحرص دائماً على المعنى الكريم فهو في كرمه كعنصر الانسان كرماً يسأل عن اكرم بيت وصف به رجل قومه في الحرب فيعجبه تصوير كعب بن مالك للشجاعة والاقدام بقوله :

نصل السيوف اذا قصرن بخطونا ... قدماً ونلحقها اذا لم تلحق

وهو كذلك حريص على ان يجمع كل فريق من الشعراء يمتازون بمذهب شعري خاص وفن معين فتراه مثلاً وقد اجتمع بمجلسه عمر بن ابي ربيعة وجميل كثير يسألهم انشاد ارق ما قالوا في الغواني فينشد جميل

حلفت يميناً ما بثينة صادقـاً ... فان كنت فيها كاذباً فعميت
اذا كان جلد غير جلدك مسني ... وباشرني دون الشعار شربت
ولو ان راقي الموت يرقى جنازتي ... بمنطقهـا في الناطقين حييت

ويستمع لكثير وهو يقول :

بأبي وامي انت من مظلومة ... طبن العدو لهـا فغير حالها
لو ان عزة خاصمت شمس الضحى ... في الحسن عند موفق لقضى لهـا
وسعي الي بصرم عزة معشر ... جعل المليك خدودهن نعالها

ثم يصغي الى عمر وهو ينشد :

الا ليت قبري يوم تقضى منيتي ... بتلك التي بين عينيك والفم
وليت طهوري كان ريقك كله ... وليت حنوطي من مشاشك والدم
الا ليت ام الفضل كانت قرينتي ... هنا او هنا في جنة او جهنم

فيقول لحاجبه : أعط كل واحد منهم الفين وصاحب جهنم عشرة آلاف .

وليس من شك في ان لكل شعر طرفاً من الرقة والجمـال ولكنه لاحظ في الاخير الى جانب ذلك معنى آخر هو الوفاء، وما بدا من حرص على الاختلاط الوثيق والاتصال الشديد والمصاحبة الدائمة لوالي جهنم .

هذه بعض المقاييس الادبية التي على اساسها كان عبد الملك يفاضل بين الشعراء، وهي كما رأيت مستنبطة من ملاحظاته على شعرهم ومستدل عليها بما يرون من شعر .

فهل كانت المقاييس الفنية وحدها هي اساس الحكم بتفضيل شاعر على آخر . وهل كانت مقاييسه لا تتخلف . وهل برىء من العصبية . او لم تتغلب عليه النزعة السياسية .

ليس من شك في ان هذه المقاييس الذهنية كانت ذات اثر قوي في آرائه وما صدر عنه من احكام ادبية . ولكنها لم تكن

كل شيء ولعلها كانت تختلف احياناً .

فله احكام عامة كغيره من سابقيه ومعاصريه يحكمون بتفضيل شاعر لبيت تأثروا به او معنى اعجبهم هي الى الغموض والابهام اقرب .

كذلك كان للعصبية اثرها وللسياسة سلطانها فقبيلة تناصر الخليفة واخرى تتنكر له فشاعر الاولى اثير لديه مقرب منه والآخر مغضوب عليه مقصى عنه فهو يعجب بشعر الاول ليكبت الخصوم ويغيظ الاعداء ويجزل له المكافأة ويؤثره باكرم العطاء .

ولسنا نطيل بذكر الامثلة والاستشهاد لذلك باكثر من شاعر واحد ومثال واحد معروف لكل متأدب اما الشاعر فهو الاخطل التغلبي واما الشاهد فقصيدته المشهورة .

خف القطين فراحوا منك او بكروا   وازعجتهم نوى في نأيها غير

لقد كانت هذه القصيدة حقاً من اقوى القصائد وابلغها وكانت حملة شعرية سياسية على خصوم عبد الملك اخذ بها وطرب لها لما فيها من قوة بلاغية وثورة سياسية واعلاء لشأن الدولة وقصم لظهور خصومها حتى ان عبد الملك لما سمع منها .

شمس العداوة حتى يستقاد لهم   واعظم الناس احلاماً اذا قدروا

قال هذه المزمرة والله لو وضعت على زبر الحديد لاذابتها وكان يتطاول عند سماعها ثم قال .

ويحك يا اخطل اتريد ان اكتب الى الافاق انك اشعر العرب . ويقال ان مولى لعبد الملك خرج به على الناس وهو يقول . هذا شاعر امير المؤمنين هذا شاعر العرب .

فهل كان الاخطل بحق اشعر العرب . لا شك ان الاعجاب الشديد والتأثر البالغ : « دفعه الى الاسراع باعلان هذا الرأي ، والعصبية للشاعر اذكته وقوت من تأثيره . ولم يحل دون اعلان هذا الرأي والجهر به تعصب ديني ولكن هل ينتقص هذا من قدر عبد الملك او يضع من قيمة آرائه في النقد ومذهبه فيه .

لا شك ان كل انسان يخضع للمؤثرات العارضة غير انها لا تصرفه غالباً عن الرأي السديد ولا تبعد به عن الصواب .

وبعد فها نحن قد المنا بطرف من سيرة عبد الملك الادبية وادركنا مقدار عنايته باللغة والادب وغيرته عليها وعرفنا منهاجه في النقد ودقته فيه وتبينا مقاييسه واهدافها فمتى كان ذلك .

لقد عرفناه نحو منتصف القرن الاول يوم كان النقد الادبي غير واضح المعالم ولا بيّن النهج او محدود الغاية وانما عرفناه خواطر سريعة وآراء مبهمة عمادها العاطفة والاستحسان المتأثر بظروف طارئة وعوامل وقتية غير مستقرة .

فيكون بذلك قد سبق عصر النقد الادبي باكثر من قرنين ومهد السبيل لمن بعده بزمن طويل فرسم لهم الاسس ودفعهم الى تحري الدقة في تدوين الملاحظات وضبط الاصول وتقييد القواعد .

فاذا كان النقد قد ازدهر في القرن الرابع اي بعد مضي نحو ثلاثة قرون على عبد الملك فينبغي ان نذكر ان آرائه كانت دعامة قوية من دعائمه وكان له فضل السبق في الاشارة الى مذاهبه .

وكذلك نرى لزاماً علينا قبل ان نختم هذا الحديث ان نقرر في ايجاز ونذكر في وضوح ان لعبد الملك فضلاً على العربية لا ينسى . وكان لتعصبه لها وحرصه على ان تكون لها شخصيتها الواضحة وسلطانها القوي اثر فعال في سياسته العملية للنهوض بالدولة العربية .

فهو اول خليفة صبغ الادارة كلها بالصبغة العربية . فالدواوين نقلت من الرومية والفارسية الى العربية والتحرر الاقتصادي تم باستقلال العملة العربية عن الاجنبية فاصبحت النقود تضرب في البلاد مطبوعة بالطابع العربي وما توشى به الثياب كتب باللغة العربية وكانت من قبل رومية . وما ذلك الا حرصاً على ان تحتل العربية مكانتها الجديرة بها لعلمه ان اللغة من مقومات الدولة ومظهر من مظاهر عزتها .

ذلك كان منذ ثلاثة عشر قرناً وها نحن اليوم نسمع صدى جديداً وصوتاً يتردد بالدعوة لمثل ما تم انفاذه من اجيال طال عليها العهد . وكان من آثار ذلك ان اصدرت مصر منذ عام قانوناً يفرض ان تكون التحريرات الرسمية وحساب المصارف والشركات باللغة العربية . وها هي لغتنا العزيزة تظفر في هذا العهد بمثل تلك العناية وذلك الحرص القديم بفضل ادراك ذوي الرأي اثر احيائها والنهوض بها في كيان الامم وسيادتها .

ولعل ذلك يفسر السبب الذي من اجله اخترنا هذه الناحية من تاريخ عبد الملك موضوعاً لبحثنا مع ان الحديث عنه متشعب ومناقبه لا تحد ومآثره لا يحصيها العد .

غير انا تركنا كل هذه وآثرنا ان نبرز الشطر الحي الخالد ما بقي الدهر .

فمجد اللغة وعز الادب يفوق مجد الملك وعز السلطان .

ولا شك ان عزتنا في لغتنا ومجدنا في اعزازها ورفعتنا في النهوض بها ، فذلك عنوان الكرامة ومظهر الشخصية القومية ورمز الوطنية السليمة الصادقة .

عبد العزيز احمد

بيروت والبيروتيون
في عصر ابراهيم باشا المصري
١٨٣٢ ـ ١٨٤١

بقلم شفيق طباره

◆

الفصل الاول
موقع المدينة — السور — الابواب

كانت بيروت في عصر ابراهيم باشا المصري مدينة صغيرة وادعة قائمة على منحدر يشكل مربع الاضلاع ويمتد من الجنوب الشمالي اي من باب الدركة (جنوباً) الى مرفئها القديم (شمالا) ومن باب السراي (شرقاً) الى باب ادريس (غرباً) وهي مسافة يبلغ طولها ٥٧٠ متراً ولا يزيد عرضها على ٣٧٠ متراً.

وكانت كغيرها من مدن الشرق يحوطها من جهاتها الاربع سور مبني بالحجارة الكبيرة حماها على مر الاجيال من خطر الغارات البرية والبحرية. وكان لبيروت ثمانية ابواب مصفحة بصفائح من الحديد وهي : باب الدباغة وباب السراي وباب ابي النصر وباب الدركة وباب يعقوب وباب ادريس وباب السمطيه وباب السلسلة ويعلو السور ابراج متقاربة تقوم مقام الحصون لدفع المغيرين منها عند هجومهم على المدينة.

وكان (باب الدباغة) في الشرق الشمالي من المدينة وسمي بذلك لانه على خطى قليلة من سوق الدباغين وكان هذا الباب اكثر الابواب ازدحاماً بالسابلة تختاره القوافل التي تحمل المتاجر بين البر والبحر لقربه من الميناء محاذرة اجتياز اسواق بيروت الحافلة ومنعطفاتها الملتوية. واتخذ يومئذ مركزاً رئيسياً لجباية المكوس على البضائع الصادرة والواردة. اما (باب السراي) فقد اطلق عليه هذا الاسم لانه يحاذي سراي الحكومة نحو الشمال ثم يليه (باب ابي النصر) نسبة الى الشيخ محمد ابي النصر اليافي ابن الشيخ عمر ابي النصر وكان من كبار الصالحين وهب له السلطان عبد المجيد قطعة الارض القائم عليها سوق ابي النصر الحالي وبنى فيها داراً جميلة مؤلفة من طبقتين كان اهل العلم يعقدون حلقات للدراسة في الطبقة الاولى منها واقام الشيخ محمد في الطبقة الثانية ونزل بها فيما بعد الامير عبد القادر الجزائري عند مروره ببيروت وكان ذلك سنة ١٨٥٣.

هذا فيما يتعلق بسور المدينة من جهة الشرق اما من جهة الجنوب فكان هناك (باب الدركة) انيق البناء عالي الاركان بني كله بالرخام الملون الواناً طبيعية منقوشة باحسن صنعة ومجلوبة من ارجاء البلاد. وكان رتاجه مزداناً بكتابات قديمة وقد عدّ يومئذ اجمل ابواب بيروت. وكان قائماً في موضع الزاوية الغربية من شارع اللنبي. اما (باب يعقوب) فقيل ان بانيه الجزار والناس يختلفون في نسبته فبعضهم ينسبه الى طبيب من صيدا يدعى يعقوب ابيلا كان يسكن داراً تلاصق جداره والبعض ينسبه الى يعقوب الكسرواني الذي كان يسكن داراً فوقه.

اما من جهة الغرب فقد كان (باب ادريس) وعلى مقربة منه (باب السمطيه) وسبب تسمية هذا الباب بادريس ان رجلا من اسرة ادريس كان يملك منزلا يتصل به ويقع عند مفرق طرق تلك المحلة المعروفة الان. وقد هدمته الشركة الفرنسية عندما عهد اليها بشق طريق الشام وتوسيع اسواق المدينة. وكان (باب السمطيه) اصغر ابواب بيروت والى جانبه مقبرة السمطيه فلذلك سمي باب السمطيه.

وكان (باب السلسلة) في الشمال وهو مبني بين برجين متقابلين قائمين على الصخور في مدخل الميناء هما برج الفنار وبرج السلسلة وعرف بهذا الاسم لان سلسلة حديد عظيمة كانت تعترض الميناء. وكان عليها الحراس الامناء

يمنعون المراكب من العبور الا باذن منهم .

وقد بنيت هذه الابواب ورممت في عصور مختلفة وتهدمت منذ حين واندرس رسمها ولم يبق الا اسمها انما بقيت الى يومنا قنطرة باب يعقوب غربي شارع فخر الدين وما زالت المحلات التي كانت قائمة فيها الابواب تحمل اسماءها .

وكان كل عين من اعيان المحلة موكلاً بأمر باب منها فيقوم بنفقة مصباح معلق الى جانب الباب الخارجي ينيره عشية النهار ويسد الباب ويودع المفتاح الى متسلم البلد حتى الصباح وهكذا كل يوم . وكان حفاظ الابواب يحرزون شرفاً بذلك .

وكانت القوافل التي تفد ليلاً على بيروت تضطر الى الانتظار خارج المدينة حتى يفتح الباب في الصباح . وكانت الاقامة في ظاهر بيروت خطراً . حدثني من اثق بـه ان اول اسرة اقامت في دار خارج السور على منحدر (اوتيل بسول) الحالي لناحية الغرب اسرة بسول وان اسم بسول مشتق من باسل اي شجاع وانما اطلق عليها هذا الاسم لهذا السبب . وهنا اذكر نادرة رواها لي بعض المعمرين : فقد اجتمع ذات مرة (مجلس المشورة) في بيروت وتفاوض اعضاؤه في امر الجباية على ما يجلبه التجار . وكان العجز في الجباية ظاهراً لبيت المال ، فنهض احد الاعضاء وسأل : مامقدار الدخل في هذا العام؟ . . قالوا : ١٦٠ كيساً اي ثمانمئة ليرة ذهباً عثمانياً . قال : اذا كان دخل كل باب من ابواب المدينة مئة ليرة ذهبية في العام الواحد فافتحوا باباً تاسعاً فيصبح الدخل تسعمائة ليرة . . . فضحك الاعضاء . . .

وحكي ان احد الاجانب وفد على بيروت ونزل ضيفاً على احد كبار التجار الموكول اليه امر باب السراي ونشأت بين البيروتي والغريب مودة ولما همّ الاخير بالرحيل اسرّ الى مضيفه انه قاصد الى الباب العالي في الاستانة فقال له البيروتي : ان كنت تنوي مقابلة صاحب الباب العالي فان لي لديك حاجة . قال : وما هي . قال : ان تسعى لي لدى صاحب الباب العالي . . باعفائي من نفقة قنديل الزيت المضاء على هذا الباب . . فضحك الغريب لبساطة الرجل . وما اخف ما كان هم رجال ذلك العصر فلو ان مثلهم عاش في عصرنا لما تردد عن طلب وزارة او نيابة والله اعلم .

الفصل الثاني

سراي الحكومة – رجال الحكم – نظام الحراسة – الحبس – غرائب الاحكام

وكانت سراي الحكومة يومئذ قائمة في اول سوق سرسق الحالية نحو الشمال وسميت بسراي فخر الدين لان الامير فخر الدين المعني كان قد شادها في آخر القرن السادس عشر يوم جعل بيروت عاصمة ملكه . وقد وصفها يومئذ سائح انكليزي بقوله : «وجدنا امام باب قصر الحكومة حوض ماء في وسطه فوارة من الرخام المنقوش لم نجد احسن منها في المدن التركية . وهذا القصر اقسام عدة وكانت هناك اسطبلات لخيل الامير ورابض للاسود وغيرها من الضواري مما لا نظير له الا في قصور الملوك . واحسن ما وقعت عيناي عليه بستان فخر الدين وهو حديقة رحبة قسمت الى ستة عشر قسماً غرس فيها شجر البرتقال المثقلة غصونه بالثمر . وحول الاقسام مماش مفروشة بالصفائح الحجرية تتخللها مجاري الماء لسقي الحديقة وفي الجانب الشرقي منها ممران عاليان احدهما فوق الاخر لكل منها درج مؤلف من اثنتي عشرة درجة والممران يفضيان الى ردهة فسيحة يظللها برج عرض جداره اثنتا عشرة قدماً وعلوه ستون قدماً وقد بناه الامير المراقبة .» اهـ

اما في عصر ابراهيم باشا فالدهر كان قد اخنى على سراي فخر الدين واصبح معظمها خراباً . وفي السراي مقر رجال الحكم وهم : المتسلم والقاضي والمفتي والحاسب وضابط البلد او كما كان يسمى (مأمور الضابطية) . وكان المتسلم يقوم على تدبير امور البلد وشؤونه ويشرف على كل الاعمال الادارية نائباً في ذلك عن ولي الامر في البلاد وتمتد سلطته الى منتهى غابة الصنوبر في ظاهر البلد حتى نهر بيروت . وكان متسلم بيروت يومئذ الامير محمود نامي بك جد سمو الداماد احمد نامي بك وهو جركسي تعلم في مدارس اوربا العسكرية مع اعضاء اول بعثة ارسلها محمد علي باشا الكبير الى هناك . وكان رحمه الله من خيار الرجال شهدت بيروت في عهده كثيراً من ضروب الاصلاح والتحسين . منها : ان الناس كانوا قبل قدوم الحملة المصرية يتحاكمون الى القاضي . وكانت المحكمة تتداول شفاهاً وتسوّى المشاكل بين المتخاصمين في جلسة او جلستين وحكم القاضي غير قابل الفسخ يخضع احياناً في حدود معرفته للشريعة وغالباً لفتوى المفتي ويعتمد على الشهود وعلى ما استقر في رأسه من ذكاء وحكمة وما يراعيه من مصالح الناس اكثر من بنائه على المرافعات والمراجعات والاصول ويتمتع بسلطة لا حد لها ويجلب لنفسه المدح تارة والملامة تارة اخرى .

ومنعاً لتعدي القضاة في طغيانهم حدود السلطة التي خولهم اياها الشرع جعل المتسلم محمود نامي بك للقضاء صبغة مدنية فأقام

(ديوان المشورة) واولاه حظاً كبيراً من عنايته ونشاطه وبذلك قضى على ذيوع الرشوة وشهادة الزور . وكان هذا الديوان مجلساً حسبياً يفصل في القضائين الجنائي والحقوقي وقد كان له فوق ذلك صلاحية المجلس البلدي يرأسه المتسلم ويتألف من اثني عشرعضواً : ستة من المسلمين وستة من النصارى . من المسلمين : عبد الفتاح حماده وعمر بيهم واحمد العريس وحسن البربير وامين رمضان واحمد جاول . ومن النصارى : جبرائيل حمصي وبشاره نصرالله والياس منسي وناصيف مطر ويوسف عيروت وموسى بسترس مختارين جميعاً من اهل بيروت المتحلين باكرم المواهب والصفات .

وكان المحتسب خازن اموال الحكومة بيده الدخل والخرج واليه ترجع شؤون بيروت المالية . وكانت مرتبات الموظفين توزع عليهم من مال الولاية وما فضل يحمل الى صاحب السلطان . وكان المحتسب في العهد العثماني تركياً ثم استبدل في العهد المصري برجل من اهل بيروت وكانت الرسوم الجمركية والضرائب خاضعة كلها لمراقبته وتختلف باختلاف السنين .

وكان ضابط البلد رئيس الشرطة المهيمن على حفظ النظام يتفقد امور الرعية ويطوف على الدور والاسواق ويختلط بالناس ويرافق الحراس في دوراتهم الليلية وله سلطة في ضرب اي مذنب بلا محاكمة وذلك بالخيزرانة التي كان يصطحبها في روحاته وغدواته .

ومقر الضابط في الطباق الارضي من السراي وكانت قشلة البلد في طرف سوق النورية الشرقي . وكان هناك مخفر (قراقول) بباب الدركة وباب الدباغة وفي بعض الضواحي خارج السور . وكان ضابط البلد يقبض على المتهم بالسرقة او القتل وغير ذلك ويقوده للمحاكمة امام (ديوان المشورة) وعندما ينكر الجريمة الموجهة اليه ولم يكن هناك دليل على الادانة يجلد حملا له على الاعتراف .

وكان في السراي حبسان . اعد حبس الامام للمجرمين وكان على حالة مزرية يقاسي فيه السجناء العقاب الاليم ويعيش معظمهم من هبات اهل الخير المحسنين ومما يسترعي النظر ان المدعي هو الذي كان يترتب عليه دفع نفقات المحاكمة سواء أكان محكوماً له او محكوماً عليه .

وبما ان البلاد كانت خالية من الصحافة ، والامية متفشية في سواد الامة فقد كان مناد ينشر على الناس اوامر الحكومة ويسمى (الطواف) وكان هذا المذياع الادمي يجول في الازقة ويذيع في الناس الاوامر والنواهي وسرعان ما كانت تذاع هذه فلا يحين العصر الا وقد ملأت جميع الاسماع .

ومما يروى في هذا الصدد ويدل على ان العادة طبيعة ثانية ان المتسلم بلغه ان من عادة اهل بيروت في حالة الغضب ان يسبوا الدين فاراد ان يقلع القوم عن هذه العادة الذميمة فدعا بالطواف وقال له : نادي بالناس ان من يسب الدين يغرم بدفع ربع مجيدي جزاء نقديا فانصرف الرجل وجعل ينادي مكرراً في الاسواق : يا اهل بيروت الحاضر يعلم الغائب عن امر افندينا المتسلم ممنوع سب الدين والذي يسب الدين يدفع ربع مجيدي جزاء نقدياً والذي لا يدفع افندينا المتسلم بيحرق دين دينه ... »

وكان التشهير من درجات العقاب فتشوه سحنة المحكوم عليه ويركبونه حماراً يلجم من جهة ذيله ويحولون وجه الراكب اليه ويمشي امامه الطبال والزمار ويدار به في الاسواق معروضاً لسخرية الجمهور . ويذكر بعض اهل التاريخ ان هذه العقوبة كانت معروفة من قديم الزمان وقد ابطلت في العهد المصري ويحكى ان بدوياً اسمه جنان قدم بيروت لاول مرة في حياته ولما كان المساء اصابه الجوع فخرج يلتمس ما يأكله فرأى الناس يدخلون دكان شواء فيأكلون ثم يخرجون ففكر في امرهم وظن دكان الشواء بيتاً لرجل كريم ومضياف كبير فدخل وأكل ولما قضى اربه من الطعام سأل عن صاحب البيت ليشكر له فضل ضيافته فدل على صاحب الدكان فطالبه هذا بثمن ما اكل فلم يفهم البدوي قصده لانه ما تعود ان يدفع ثمناً للضيافة فاقتاده الى القاضي فحكم عليه بالتشهير فاركب حماراً على تلك الطريقة وانطلق الجند يطوفون به شوارع المدينة والناس يتبعونه ويصفقون ويتضاحكون وبينما هو على تلك الحال عرض له بدوي من عشيرته فقال له : ما هذا المهرجان يا جنان فقال بلهجته البدوية ووجهه يطفح بالبشر وعيناه تشعان ببريق الغبطة : والله يا خوي لا اعرف بلداً اهله اطيب من اهل بيروت فان الغريب يعيش بينهم مكرماً ومنعماً يأكل (المحاش) ويشرب (الخفاش) ويركب الجحاش ... ثم التفت الى الطبال وقال : دق يا طبال دق

شفيق طباره

ذكرى البحيرة

بقلم الياس ابو شبكة

مئة وخمس وعشرين سنة ولدت على ضفة بحيرة بورجه ، في مصيف اكس له بن ، أنفس قصيدة عرفتها اللغة الفرنسية منذ ستة قرون الى اليوم . ولهذه القصيدة التي نقلها الى النثر العربي اكثر من ثلاثين كاتباً ، والى الشعر العربي شعراء كثيرون منهم شاعران من رجال النهضة في مستهل هذا القرن هما الاستاذ شبلي الملاط والدكتور نقولا فياض :

أهكذا تنقضي دوماً أمانينا   نطوي الحياة وليل الموت يطوينا
تجري بنا سفن الاعمار ماخرة   بحر الوجود ولا نلقي مراسينا
بحيرة الحب حياك الحيا فلكم   كانت مياهك بالنجوى تحيينا
قد كنت أرجو ختام العام يجمعنا   واليوم للدهر لا يرجى تلاقينا

لهذه القصيدة قصة لا يكفي لمعرفتها على وجهها الصحيح قراءة قصة « رفائيل » التي كتبها لامرتين عن سيرة حبه لجوليا بوشو ونقلها الى اللسان العربي باقتضاب المرحوم نجيب الحداد باسم « غصن البان » ثم نقلها كاملة الاستاذ الزيات ، صاحب « الرسالة » المصرية .

لما بلغ لامرتين السادسة والعشرين من عمره كان لا يزال في حيرة من امره اذ كان يعف عن ان يحذو حذو المتملقين الذين استطاعوا بخنوعهم وتسكعهم ان يصلوا الى المراكز التي طمحوا اليها وهم دونه علماً وذكاء . سوى ان الصدف لم تلبث ان وفرت له ازمة عاطفية أحالته بين ليلة وضحاها اسمى محل في جامعة الادب بفرنسا .

وكان اساس هذه الازمة قلب امرأة احبت الشاعر المغمور فصيرته خالداً واحبها فخلدها . وهل في عرائس الشعراء أخلد من «الفير»؟

كانت جوليا بوشو في الثانية والثلاثين حين اشار عليها الاطباء بان تصرف اشهر الصيف في قرية اكس له بن ، وكان لامرتين في السادسة والعشرين حين أشار عليه الاطباء بان يصرف أشهر الصيف في هذه القرية . كانت هي مصابة بداء الصدر ، وكان هو ضعيفاً . ففي احد الايام كان لامرتين يتنزه على ضفاف بحيرة بورجه فالتقى زورقه زورقاً صغيراً فيه جوليا بوشو ، واذا بزوبعة شديدة قلبت الزورق الصغير وجعلت المرأة في خطر . أتراها سقطت في الماء فأنقذها لامرتين أم تراه أدركها قبل ان تسقط واعانها على ما بها؟ كل ما يعرف عن هذا أن لامرتين كتب الى صديقه لوي ده فينييت يقول انه انقذ مدام شارل من الغرق وان هذه المخلوقة العذبة أصبحت تملأ ايامه وتوشك ان تشفى من دائها .

وفي السادس والعشرين من تشرين الاول ١٨١٦ طوت جوليا جناحيها الملائكيين لتعود الى باريس فشيعها لامرتين الى ماكون ، ورجع الى ميللي ينتظر الرسالة الاولى التي وعدته بها . وكانت قد أكدت له انها ستسهر عليه كما تسهر الام على ولدها وانها ستساعده على ايجاد منصب يليق به لما كان لزوجها العالم الشهير شارل من النفوذ في فرنسا .



الشاعر الفونس ده لامرتين

وبعد ايام قلائل جاء الشاعر الى باريس وبقي اياماً عديدة في دار جوليا ، كان كل مساء يذهب بها الى النزهة فتتكىء على ذراعه نحيلة صفراء ، وتستسلم الى افكارها الكئيبة . وكان العابرون يظنونهما أخاً وأختاً . على ان الفناء كان يقضم ذلك الهيكل الهزيل ، فلا تطلع الشمس الا على جسد أخذت الليلة الماضية حصتها منه . ولما اضطر لامرتين ان يعود الى اشغاله تواعدا بلقاء في « اكس » وأعطته دفتراً صغيراً من المارو كين الاحمر ليملأه بأيوحيه اليه فراقها . كان لامرتين أميناً على الوعد ، ففي الواحد والعشرين من شهر آب صعد الى « اكس » لينتظر جوليا ، الا ان آماله ذهبت ادراج الرياح . فقد اتصل به ان الحمى تفتك بها فتكاً ذريعاً ولا سبيل الى وصولها اليه . فهام على نفسه ، ونفسه حزينة حتى الموت . وكان في القرية ، او في الدار التي يسكنها ، فتاة حسناء تدعى الينور كانونج تعرف اليها صدفة فلم يكتم عنها عذابه ويأسه ، ولم يرفض رغبتها اليه في التنزه ساعة على ضفاف البحيرة .

كان الصيف يذيب عواطفه العذبة على بحيرة «بورجه» فاستسلم لامرتين الى الذكريات، وما هي الا هنيهة حتى شعر برعشة سرت في جميع مفاصله، فأستأذن الانسة وانصرف عنهـا الى خلوة على الضفة الشمالية من البحيرة. ولم تأذن الساعة السادسة من المساء حتى كان الشاعر افرغ ما في قلبه من الدموع. وكأنه شعر بعاصفة تنطلق في صدره فاختلج هنيهة، وغـارت عيناه في محجريهما، ثم تناول من جيبه الدفتر الصغير الذي اعطته اياه جوليا وكتب على الصفحة التي عرضت له هذه الكلمات:

«انا جالس على صخرة الضفة الشمالية افكر فيك ياجوليا.»

ولكنه تذكر ان جوليا تموت وان الكلمات الفاجعة لم يتلفظ بها بعد فكتب: «تذكار الايام الجميلة التي صرفنـاها معاً على ضفة البحيرة.» واطبق الدفتر وأخذ يحلم، واذا باغنية تستفيق في قلبـه، ففتح الدفتر وتأمل هنيهة وكتب:

«ذات مساء أتذكرين؟ كنا نعوم بسكون
على احشاء امواجك المفضضه بضوء القمر
وعلى دوي الجذافين الضاربين بايقاع..»

ثم توقف فضرب على البيت الثاني واستبدل به هذه الابيات:

«ولم يكن يسمع في الابعاد، على الماء، وتحت السماء
الا دوي الجذافين الضاربين بايقاع
امواجك الموسيقية.»

ثم بدأ بمقطع آخر:

«ان مركبة ملكة الليالي الموسيقية
كانت تنير بضآلة، شواطئك الفقراء.»

وتوقف كأنه امسك باهداب فكرة اخرى هي ان يـدرج في القصيدة اغنية جوليا فكتب:

«تابع، تابع مجراك ايها الزورق الشارد.»

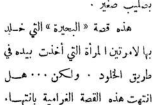
ويظهر ان رفاقه في تلك القرية الصيفية فاجـأوه في تلك الآونة، فأخفى الدفتر في جيبه وعاد معهم. وفي اليوم التـالي رجع الى البحيرة من غير ان يشعر به احد واكمل قصيدته الالهية: «البحيرة»

كان لامرتين قـد تشبع من قراءة روسو وشاتوبريان، فاسترجع الى مخيلته «هلويز الجديدة» و«اتالا». قال لامرتين في البحيرة: «ذات مساء، أتذكرين؟ كنا نعوم بسكون، ولم يكن يسمع في الابعاد، على الماء وتحت السماء الا دوي الجذافين الضاربين بايقاع امواجك الموسيقية.» وقال روسو قبل سنوات عديدة: «كنا صامتين صمتاً عميقاً وكان دوي المجـاذيف ذات الايقاع المتوازن يهيج في قلبي الرغـبة في الاحلام.» وقال شاتوبريان في اتالا: «كانت اتالا تنشد فلا يقاطع شكاياتها الا دوي زورقنا على الماء...»

وبعد يومين ترك لامرتين «اكس» ليلحق بصديق له يدعى فيريو فيذرف بين ذراعيه بقايا دموعه. وكان الداء يسير مسيرته في جسد جوليا التي انقطعت الا عن الماء، عملاً باشارة الطبيب. ولم يكن لامرتين يجهل ان الموت يتأهب ليخطف المرأة التي اوحت اليه قصائده الخالدة، فكتب الى الانسة كانوننج يقول: «ان التي احبهـا فوق كل انسان في هذا العـالم تتلوى منذ اسابيع في نزع أليم. وأراني عاجزاً عن الوصول اليها» وفي الثامن عشر من كانون الاول فاضت روح جوليـا بهدوء وسكون، وشفتاهـا لاصقتان بصليب صغير.



جوليا بوشو حبيبة لامرتين المشهورة باسم «الفير»



هذه قصة «البحيرة» التي خـلد بها لامرتين المرأة التي أخذت بيده في طريق الخلود. ولكن... هـل انتهت هذه القصة الغرامية بانتهـاء حياة جوليا؟ لا، بل على نقيض ذلك، فقد بدأت بموتهـا. فمن جوليا شارل، من المرأة العذبة الكئيبة عمل لامرتين «الفير» اي عروس شعره. بل عمل منها اكثر من عروس شعر، عمل منهـا امرأة الهية أوجب عبادتها على شعراء عصره وعلى عصره. وأوجب احترامها على بيته، وعلى امرأته، وسمى ابنته باسمها، وعاش حياته في ظل وحيها، ومات وعلى شفتيه الصليب الصغير الذي كان على شفتيها في ساعة الموت.

الياس ابو شبكة

مسألة بيرون الشاعر الانكليزي

بحث لجون بوربانك

تلخيص : رئيف خوري

بين ايدينا محاضرة ممتعة كتبها الناقد الادبي الانكليزي « جون بوربانك » المقيم حالياً بيننا عن اللورد بيرون الشاعر وألقاها في مدينة بوخارست على « الجمعية الانكليزية — الرومانية » في ٢٠ اذار سنة ١٩٤٠ .

والاستاذ جون بوربانك من اساتذة الادب الانكليزي المعدودين اليوم . تولى تدريس آداب لغته في طائفة من الكليات والجامعات في اميركا واليابان ورومانيا . وله كتب وابحاث ادبية معروفة في كبريات المجلات . ومن ابحاثه القيمة : « الادب الانكليزي والتقاليد الاجتماعية »

تقع محاضرته عن بيرون في اربع وعشرين صفحة ، درس فيها ما سماه « مسألة بيرون » .

فما هي هذه المسألة .

كان غوتيه الشاعر الالماني الكبير يزعم ان بيرون اكبر شاعر انكليزي . والحق ان بيرون هو الذي اخرج الادب الانكليزي من « جزيرته » فجعله ادباً اوربياً في عصره ، والشعراء الاوربيون الذين اعجبوا ببيرون وتأثروا به كثيرون جداً .

لقد كانت شهرة بيرون بعيدة المدى ، وكان عمق اثره بالغاً مبلغاً عظيماً في انكلترا ، وفي القارة .

ولكن ما لبث ان وقع ردفعل كبير اذ قام الشاعرالانكليزي « سونبرن » ومعه طائفة كبيرة ينكرون على بيرون منزلته المقدمة . وتطرف الاستاذ « سينتسبري » ، وهو من اعلام النقد الذين توفوا مؤخراً ، فأوشك ينكر على بيرون الشاعرية .

ومما يلاحظ ان الشهرة البيرونية قد تقلصت جداً حتى في القارة الاوربية .

فكيف اتفق ان شاعراً ملأ عصره وشغل الناس جعل شأنه يصغر بتوالي الايام .

هذه هي المسألة البيرونية التي يدرسها الاستاذ بوربانك درساً وفق فيه الى حد بعيد .

الحق ان اللورد بيرون لم يكد يجد قلوب الانكليز مفتوحة له حتى وجدها مقفلة . ولعل الاصح ان نقول ان ابناء الطبقات الانكليزية العليا ما كادوا يحتفلون ببيرون وشعره حتى اداروا له ظهورهم وحاربوه فقضى معظم حياته في خارج انكلترا .

ويحاول الاستاذ بوربانك ان يعلل هذه المسألة باسباب في شخصية بيرون ، وبعوامل وراثية وتربوية . فقد كان اللوردالشاعر اخاذاً من متع الحياة بنصيب ، وكان اقرب اقربائه على غير قسط كبير من الضبط الاخلاقي ، اما امه فكانت امرأة ليست لها الكفاءة للقيام على تربية ولد ولا سيما ولد كبيرون يضاف الى ذلك عناده واعتداده بنفسه .

وجاءت حادثة انفصال زوجته عنه متممة لسلسلة الاسباب التي كان من شأنها ان توسع شقة التنابذ بينه وبين الطبقات الانكليزية العليا المحافظة .

لقد تكشف الشاعر عن شذوذ غير مقبول في نظر الطبقات العليا في بلاده . ولو انه كان فرداً من افراد الشعب لما عبأوا به ، ولكنه عضو من الارستوقراطية يخرج على مراسيمها ، وهذا ما لا يجوز التساهل فيه (ان كان بيرون ممن يهمهم تساهل احد !)

والاستاذ بوربانك ، في كل هذا ، على صواب . ولكن شيئاً آخر لا بد من قوله بوضوح وهو ان الخلاف المزاجي الاخلاقي بين بيرون وافراد طبقته له ايضاً صبغة التعارض الطبيعي بين الصراحة والنفاق . ومهما يكن من قول في اللورد بيرون ، فلا ريب انه كان رجلاً صريحاً يرى لذة في ان يظهر على حقيقته ، ويكره المرائين والمتصنعين . وهذا هو عامل من العوامل الاساسية التي تجعل قلوب القراء الاجانب تهتز لنقرات اوتاره وتحس بحرارة لا تكاد تحسها

في غيره من شعراء انكلترا .

والذي يُستنتج من كلام الاستاذ بوربانك : ان المتحاملين على بيرون يستندون الى حجتين . اما الاولى فهي الحجة الاخلاقية التي تمسك بها ابناء الطبقات الانكليزية العليا . والمفهوم بالحجة الاخلاقية — طبعاً — هو الرضوخ للتقاليد والمراسيم (ولو تظاهرياً!)

وغني عن البيان ان الحكم على شاعر باعتبار مسلكه الاخلاقي شيء لا يجوز في النقد الادبي الصميمي . فليس يضير بيرون الشاعر ان زوجته وجدت طريقته لا تلائم طريقتها فانفصلت عنه .

واما الحجة الاخرى التي تمسك بها جماعة « سونبرن » فهي ان اللورد الشاعر اميل في نظمه الى النثر ، بل ربما ارتكب الاخطاء اللغوية . ولا شك ان الناقد النزيه لا يستطيع الا ان يعترف بوجاهة هذه الحجة . فلم يكن بيرون ممن يحرصون على سمو التعبير الشعري وبعد الخيال . وهو في منظوماته القصصية ناثر او كالناثر ، فيكثر من الاعتراض والحشو ، وقد يسف اسفافاً ظاهراً فلا يقف ليتحاشاه بالاصلاح او بالحذف، فضلاً عن انه لم يبتكر اي قالب شعري جديد .

ولكننا مع هذا كله — يقول الاستاذ بوربانك — يجب ان لا ننسى فضائل بيرون التي قد تكون هي معايبه . فسهولته لا يكاد يدانيه فيها احد . واننا لنستشعره يرتجل الشعر ارتجالا ، وما اقل الذين استطاعوا — كما استطاع بيرون — ان يستعملوا ابسط ما في القاموس واشيع ما في حديث الناس ، فجعلوا منه شعراً كشعره ساخراً حياً رشيقاً . وقد لا يعجبنا التعبير من تعابيره ، اذا نحن تأملناه فنفتش عما يمكن ان يقوم مقامه فنعجز .

واذ قد جرى ذكر سخره وتهكمه ، فلا بد من القول ان سلاح اللذع والقرص كان احد سلاح لجأ اليه الشاعر في حياته التي كانت حرباً وكفاحاً . والحق انه كان يدفع خصومه الى مثل الجنون بمرارة سخره وتهكمه ، وكان يزيدهم لذعاً وقرصاً كلما زادت اعصابهم توتراً . فاتهموه — آخر الامر — بالفراغ الروحي . فهو عندهم ليس الا رجلاً هستيرياً يضحك من كل شيء ضحكاً حاقداً ، ويروون له شطرته الشهيرة التي يقول فيها : « الحياة لا تساوي رأس بطاطا »

والذي يذهب اليه الاستاذ بوربانك ان اتهام بيرون بالفراغ الروحي ليس صحيحاً البتة . ولئن كان قد سخر وتهكم فعلى اشياء معينة ، لا على كل شيء . وتكفينا برهاناً لهجة الجد الصادق التي نحسها من مقاطعه الغزلية . فلقد احب اللورد بيرون الجمال حباً ، وانشده انشاداً ، يتحدى كل متحامل ان يجد فيه نبرة من نبرات العبث والاستخفاف .

ثم لا يغرب عن بالنا ان اللورد الشاعر مات في ميسولونغي وهو يقاتل الى جانب اليونان في سبيل تحررهم من السيطرة الاجنبية . ولا يجوز ان يتهم بالفراغ الروحي انسان مات هذه الميتة المثالية وقال في الحرية شعراً من اروع ما قيل فيها في العالم :

— وبرغم ذلك — ايتها الحرية .

برغم ذلك ، ان علمك الممزق لا يزال يخفق وكأنه الصاعقة يناهض الريح .

وهذا صوت بوقك ، وان يكن كسيفاً متلاشياً فلا يزال متغلباً على العاصفة .

ان شجرتك قد نفضت براعمها ، وجذعك قد عضته الفأس فلا قيمة له كما يبدو .

ولكن العصير لا يزال يجري في العروق والبذرة عميقة موضع الغرس . وان ربيعاً احسن لا بد ان يطلع ، ومعه ثمرات اقل مرارة .

والحق — كما يقول الاستاذ بوربانك — ان قيمة بيرون قد تضيع على ملتمسها اذا هو لم ينظر الى شخصيته من نواحيها المتعددة . فبيرون — اولا — اشبه بمعلق على حوادث عصره واهل جيله . نظم تعليقاته شعراً حلو الوقع يطيبه سخر لاذع . وبيرون — ثانياً — هو الشاعر ، طالب الحرية ، والمحارب من اجل الحرية . وبيرون — ثالثاً — هو الشخصية المتحدية التي تقف بنفسها في وجه المجتمع ، وهو الشخصية القوية التي تفرض نفسها مكروهة او محبوبة بما لها من اتصال وثيق عميق بالحياة . ولكن اين نحن من مسألة بيرون التي تدور عليها المحاضرة ؟ كيف اتفق ان شاعراً ملأ عصره وشغل الناس جعل شأنه يصغر بتوالي الايام ؟ يقول الاستاذ بوربانك : كان بيرون عميق الانغمار في حياة عصره واهل جيله . فجعلهم هذا ينصرفون الى الاهتمام به اكثر من الاجيال التالية . الا ان هناك سبباً آخر يلمح اليه الاستاذ بوربانك ، وهو : ان اللورد بيرون دار بشعره على «الانسانيات» على الحاجات والاماني والآلام البشرية . وكان العصر الذي تلاه في اوربا عصر انصراف الى الميكانيك شغل الناس على الغوص في انفسهم ، واضعف الرومانتيكية التي كان يمثلها اللورد الشاعر . على ان هذا الدور — دور طغيان الميكانيك على القيم الانسانية يؤذن بانتهاء ، وسيعود بيرون الى احتلال المرتبة اللائقة به شهرة وقيمة ادبية . وسيقل تأثير الذين استطاعوا مقاومة نفوذه وتصغير شأنه لاسباب ليست محض فنية .

رئيف خوري

الخيال الواهم

بقلم بهيج عثمان

ليسانسيه بامتياز في الاداب من جامعة فؤاد الاول

قد يشفق القارىء على بائس ما ، لا صلة له به ، ولم يعرفه من قبل وانما عرضته عليه قصة رائعة ، وروت له تفاصيل كثيرة عن حياة هذا البائس ، وعن الازمات التي اعترضته ، ويبلغ التأثر والحزن من نفس القارىء مبلغاً بعيداً ، فيفكر فيه ويقاسمه همومه ويعيش حياته حيناً ..

وما اكثر ما قرأ هذا القارىء نفسه في الصحف ان آلافا قد هلكوا ضحية زلزال او سيول ، وما اكثر ما حملت محطات الاذاعة اليه ان عشرين الفاً قد ابيدوا عن آخرهم في معركة حامية ، فلم يزد ان قال : وآأسفاه .. فلم تحس بهذه الكلمة الاشفاق ..

فهذه القوة التي تصور الكارثة تصويراً ادبياً مثيراً هي « الخيال » الذي هو عدة الكاتب ، والشاعر ، والخطيب ، او الفنان مطلقاً ، وهو عنصر اصيل ، من عناصر الادب ، مهما تفاوت حظ الادباء منه ، ومهما اختلفت فروع الادب في استعمالها به ، لانه خير اداة لتصوير العاطفة التي هي العنصر الاول للفن الجميل .

والخيال هو القدرة على استحضار الصور المختلفة في الذهن بعد ان تنتزع من الواقع المحسوس ، ثم التصرف بها تصرفاً متنوع الاوضاع ، وهو يعين الاديب على ابراز الحقائق بوسائل مختلفة ، ويقدم له قالباً يسبك فيه موضوعه سبكاً فنياً ، ويساعده على اضفاء رداء من الجمال على ما ينشىء ، فهو اذن لا يعدو الحقيقة وانما يوضحها توضيحاً قوياً ، فيمتع النفس لما فيه من عرض جذاب وقصص منسقة وتنوع محبب .. ولولا الخيال وما يؤدي اليه من آفاق واسعة واجواء جديدة لاضطر الفكر الانساني ان يتعثر في سيره وان يدور في دائرة ضيقة وان يلتزم الواقع المتحجر ...

واقول « الفكر الانساني » لان العلم نفسه لا غنى له عن الاعتماد على الخيال ، فالعلم عندما يفرض الفروض المختلفة ، ويضع مقدمات متصورة ، ليصل اخيراً الى نتائجه النهائية ، انما يستعين بالخيال الذي يخلق الفروض ويتصور المقدمات ، غير ان الخيال العلمي نتيجة دافع عقلي محض ، في حين ان الخيال الادبي نتيجة الامزجة والعواطف .

ان ذاكرة رجل الفن مليئة بالتجارب الكثيرة ، فالموسيقي لا ينسى اخفت النغمات التي سمعها في اوائل حياته ، والرسام يستطيع ان يحفظ أدق طيات الاقمشة التي تلعب عليها ريشته ، والشاعر يدخر احساسات بعيدة ممعنة في الزمن .. وفي كل هذا الحشد المنوع في ذاكرة كل من هؤلاء ، يجول الخيال فيختار صوراً جديدة مبتكرة متناسقة ، قوية الاثر في النفس . ولكن ليس كل انسان يستطيع ان يجعل دنياه الخيالية اروع من دنياه الواقعية ، فيكون خياله ابتكارياً مبتدعاً ، بل قد يكون الخيال احياناً يقظاً شديد النشاط ، يهيم ويتيه في اجواء شاسعة ، لايحد من نشاطه قوة عاقلة ، وعندئذ يقدم الخيال صوراً غريبة منكرة ، وتشبيهات خارقة تنحدر الى السخف الشديد .. ولذلك كان اكثر ما يعتري الانسان من هذه الصور في احلامه ، فيرى احلاماً جميلة وصوراً مبتكرة الفها خياله من تجاربه ، فاذا استيقظ واستعان بقوته العاقلة على تمييز هذه الصور ، شعر ببعدها عن الواقع والمألوف . كان في حلمه قائداً خطيراً يأمر فيطاع ، ويهجم فينتصر ، فاذا هو في يقظته يستهزأ من كل هذه الخوارق ويتنهد لبعدها عن الحقيقة القاسية .. وهذا طبيعي ما دام الانسان يفقد الموازنة بين قواه المعنوية اثناء النوم ، فيعمل الخيال بحرية مطلقة في حين ان العقل خامد نائم .. ومن هذا النوع من الخيال ، خيال المجنون ، يقدم صوراً شتى ، لا تناسق بينها ولا تقارب ، كلمة من هنا ومعنى من هناك ، واخيراً مجموعة من الصور رهيبة متناثرة لا يربطها رابط سوى انها من عمل الخيال الواهم .

وقد شغل بعض رجال الصوفية انفسهم بتفسير بعض العبارات التي نطق بها كبارهم ، تلك العبارات التي تدعى « شطحات » ، يؤولونها ويفسرونها ، ويتكلفون في ذلك تكلفاً شديداً يدفع بعضه بعضاً الى البطلان .. ولا يملك نفس الناطقين بهذه الشطحات تفسيرها او فهمها ، لانها جرت على السنتهم في احوال خاصة غلبهم فيها الوجد ، والنزعة الروحية الخالصة ، فانطلقت منهم مثل تلك الشطحات التي هي اوسع من العقل ، فلا يستطيع ان يحيط بها ولا ان يدركها . ومهما حاول الصوفي المعتدل « الجنيد البغدادي » ان يتكلف في تأويل شطحات « ابي يزيد البسطامي اوالشبلي » ، فانه لا يزال بعيداً عن ادراكها ادراكاً صحيحاً ، فهي كلمات غامضة ، والواضح منها غير معقول ، وهي كلها تخالف آراء كل منها ، التي كانا يصرحان بها في احوال عادية طبيعية . وما بعض هذه الشطحات في الواقع الا من ثرثرة الخيال الواهم يستبد بالعقل فيشله عن العمل . واذا كان الخيال الواهم قد لعب دوره في النوم ، او في حال غيبوبة فكرية ، فلماذا يسرح فوق قطع حديثة ؟ وما

باله يرتدي ثوب نزعة جديدة في بعض الشعر العربي الحديث ؟

لا استطيع ان اترنم بالشعر ولا ان اطرب له الا اذا احسست احساساً قوياً بنشوته ، وكيف احس بنشوته اذا لم يكن يثير في النفس خفقات واضحة ، ومعاني معينة ؟ اما ان اسمع كلمات عذبة حلوة ، موسيقية النغم ، شعرية الرنين ، فهي ليست اكثر من اصداء سطحية ، مبهمة ، تتغادر النفس مع آخر صوت مسموع من هذه الكلمات . وما اكثر ما يعترضني — وانا اقرأ الشعر — ما يشبه هذه التعابير : الجرح الابح ، والرداء المحترق ، والصدى الذاهل ، والرعدة الصفراء . . وعبثاً احاول تكوين معنى تدل عليه ، او على الاقل ، تكوين جو يدور هذا المعنى خلاله . . وقد تعدى هذا النوع من المجازات والاستعارات الى النثر ، فقد قرأت مرة قطعة ممتعة من الادب الحديث ، ففهمت كل شيء فيها ، غير ان العنوان وقف عثرة بيني وبين عقلي . . كان عنوان تلك القطعة « اللحظة البلهاء » كنت احس بما يريد الكاتب ان يقول ، ولكني لا احس ان هذا العنوان يؤدي هذا المعنى او يثير جواً ملائماً للمعنى . وقد يستعين الكاتب بقواعد البلاغة فيدعي ان هذا التعبير مما يسمونه « المجاز العقلي » ولكنه لا يستطيع ابداً ان يطمئن الى ان هذا العنوان المجازي يحمل الى القاريء معنى محدداً واضحاً . . ولعل اغرب من كل ذلك ان اقرأ تعبيراً مثل هذا : « انطفأت شمس الفضول » فالخيال الواهم هنا قد اعطى معنى مفهوماً ، ولكنه عبر عنه بعبارة واهية متداعية .

واخشى ان يأتي حين يضع فيه تجار الكلام المنظوم ، مجموعة مختلفة من الكلمات المتداولة في النظم على أوراق صغيرة ثم تبعثر هذه الاوراق التي تحمل تلك الكلمات في صندوق وتختلط وهي تحمل كلمات مثل : معطاء طيف ، مراح اخضرار ، امل هفا ، غفوات . . . وامثالها ، ثم تسحب واحدة تلو اخرى ، وترتب على نمط متزن ، فاذا هي شعر رفيع ، واذا هي شعر رمزي ، واذا هي من الشعر الحديث المنعتق من سلطان العقل . . ومساكين القراء ! .

ولعل مما يؤلم هؤلاء المجددين على هذا النمط ، ان هذا الخيال الواهم ليس بجديد ، فقد فرض سلطانه قديماً على ألسنة بعض الكتاب اللفظيين في القرن الرابع الهجري ، عندما كانت عناية ابن عباد وابن العميد وغيرهما في كتابتهم ، عناية بالاذن حين تسمع وترفاً بالالفاظ ، وتكلفاً في التعبير ، ولم يسلم شعراء القرن الرابع انفسهم من هذه الظاهرة ، فاما من كان منهم موهوباً من نحو ، وقوى العقل من نحو آخر استطاع ان يوفق بين قوة العقل وقوة الخيال وان يقدم شعراً رائعاً كما رأينا في شعر المتنبي واما من غلبت عنده ناحية من هاتين ولم تكن المقاومة بين العقل والخيال طبيعية فانهم قدموا لنا قصائد لفظية فيها كل شيء الا الفن الادبي . والصولي غني بمثل هذه القصائد . . فالظاهرة التي نحسها في بعض شعر القرن الرابع تعود الان على لون آخر وفي رداء جديد يوافق عصر النور الذي نحن فيه . . ولا اعارض في كلامي هذا بعض الغموض في الشعر فما لاشك فيه ان هالة الغموض التي تحيط ببعض الشعر تزيد النفس حباً له وولوعاً به ولكنه الغموض الذي يشف عن معان كبيرة ويوصل اخيراً الى جو منير . . لا الغموض الذي يؤدي الى غموض آخر . . ثم الى فراغ . . وفراغ سحيق .

واساس هذا الخيال الواهم العاطفة فاذا كانت عاطفة رجل الفن عاطفة سطحية عابرة فالصور الخيالية الناشئة عنها تأتي باهتة فاترة ، واذا كانت عاطفة كاذبة مزيفة فصورها الخيالية متكلفة مصطنعة بعيدة عن الواقع وبعض من يدركون الجمال ادراكاً قريباً ساذجاً يسترون هذا القصور في الشعور بحشد من التشابيه والاستعارات فالهلال الجميل الذي لا يوحي الى ابن نباته الا هذا القول :

كأن شكل هلال العيد في يده	قوس على مهج الاعداء موتور
او منجل لحصاد قوم منعطف	او خنجر مرهف الحدين مشهور
او زورق جاء فيه العيد منحدراً	حيث الدجى كعباب البحر مسجور

فهو هلال لم ينته بهاؤه الى الشاعر ولم يحس به احساساً واضحاً يستطيع فيه ان يجزم بصورة واحدة قوية ولكن التردد بين صور متتابعة يدل دلالة اكيدة على ان الشاعر لم يجزم بعد بشعور معين فهلال العيد في يده قوس موتور او منجل منعطف او خنجر مشهور او زورق انحدر فيه العيد . . او غير ذلك مما ترى عيناك من اشكال نصف الدائرة التي تشبه الهلال . .

وليس ذلك الا نوعاً من التمرين الذهني ليغمر القارىء بصور كثيرة . . فاذا كان الشاعر لم يعتمد على صورة ولم يطمئن الى معنى معين فلن يصل من ذلك شيء الى القاريء . .

وبعثرة الشعور بالجمال بين صور متعددة متنوعة هو نفس بعثرته عندما تشعر شعوراً غامضاً غير مفهوم فهنا تضع ستاراً كثيفاً بين القاريء وبين المعنى ليفرض معاني كثيرة . . وهناك تضع له المعاني المتنوعة كلها وفي كل ذلك لا ينتهي الخيال الادبي الى اصل عاطفي واحد ولا الى ادراك للجمال صادق صحيح .

بهيج عثمان

★ جوانبلين ★

تنقسم هذه المسرحية المخيفة — وهي مأخوذة عن قصة « الرجل الذي يضحك » لفيكتور هوغو — الى قسمين : البحر والليل ، وبأمر الملك . وتبدأ حوادثها عام ١٦٩٠ في بورتلند بانكلترا ، وتنتهي في لندن عام ١٧٠٥ في عهد الملكة آن .

لم يسبق لفيكتور هوغو ان وصف المسخ البشري بمثل تلك السكرة البيانية التي اظهرها في قصته الفريدة هذه .

جعل هوغو لقصته الغريبة بطلًا ممسخاً سماه جوانبلين . وجوانبلين هو افظع من كازيمودو — وكازيمودو هو البطل المسخ لقصة « نوتردام دي باري » التي اخرجها هوغو في العام ١٨٣١ — اختطفت عصابة رهيبة من المتشردين الرحّل الطفل جوانبلين فشقت فمه حتى الاذنين وجعلت من وجهه سحنة مضحكة ومخيفة معاً بحيث يخيَّل الى من يراه انه يضحك . على ان هذا المسخ المسكين لم يعدم روحاً تحبه في هذه الحياة وقلباً يعطف عليه ويشاطره آلامه وشقاءه . اما المرأة التي احبته فهي فتاة عمياء تدعى « ديا » ، طاهرة نقية كملاك السماء .

وينكشف لنا من ناحية اخرى ان جوانبلين هو ابن شرعي لرجل من اللوردات لجأ الى سويسرا ومات فيها . اذن فهو لورد بدوره . ولقد رأيناه يدخل الى مجلس اللوردات فيقف بين الضحك والسخرية موقف المحامي عن البائسين والنبي الموحى للديمقراطية الصحيحة ويرتفع بكلامه الى بلاغة ميرابو فيصرخ قائلًا : « انا رمز الشعب فالشعب هو انا لان الشعب ممسوخ . الكومبراشيكوس هو اسم لعصابة رحالة مخيفة اشتهرت في القرن السابع عشر وجهلها التاسع عشر . وهذه العصابة كانت تمثل البشاعة البشرية القديمة ، وقد تكون نشأت في اسبانيا ، فكومبراشيكوس كلمة اسبانية مزدوجة معناها « مشتري الصغار » وكانت هذه العصابة تتاجر بالاطفال فتشتريهم وتبيعهم . وماذا كانت تصنع بهم ؟ كانت تمسخهم ليضحك الناس . كان الشعب بحاجة الى الضحك ، والملوك كذلك . ولم تكن هذه العصابة تكتفي بمسخ وجه الطفل بل كانت تنتزع منه الذاكرة بطريقة فنية نجهلها اليوم ، لينسى الوان العذابات التي قاساها ساعة تشويه وجهه .

في العام ١٦٩٠ امر الملك غليوم الثالث بطاردة هذه العصابة فهربت من انكلترا وابحر بعض رجالها الى بورتلند في مساء يوم اشتد فيه البرد . وكان بين المساعدين لهم على اعداد العدة للهرب ولد في نحو العاشرة من عمره تركوه على الشاطىء ولم يعبأوا به .

بقي الولد واقفاً على الصخرة لا يتحرك ولا يستنجد . وبعد هنيهة شعر ببرد قارس فاستفاق من جموده واخذ يفكر فصحت عزيمته على السير في الظلمة ، ولم يكد يقطع مسافة من الطريق المغمورة بالثلوج حتى وقع نظره على آثار اقدام في الثلج وتبين له انها آثار اقدام امرأة لانها اصغر من قدم الرجل واكبر من قدم الطفل . وكانت الثلوج تنهمر بغزارة فما لبثت الآثار ان امحت . ولكنه واصل طريقه على غير هدى حتى خيل اليه انه يسمع صوتاً ضعيفاً يشبه الانين فأجال نظره في الظلمة فلم يبصر شيئاً . وارتفع الانين من جديد وكان اوضح منه في المرة الاولى فخطا الولد بضع خطوات واذا به يقع على خيال يتموج في الظلمة ، فذعر بادىء ذي بدء ، ولكنه عاد فتقدم وحدق الى الثلج فانحط نظره على جثة مطمورة فيه فأخذ يجرفه بيديه حتى تكشف له الثلج عن وجه امرأة شاحب ، الا ان الانين لم يكن صادراً عن هذه المرأة لانها كانت ميتة . وعاد الولد الى جرف الثلج ، وما برز عنق المرأة والقسم الاعلى من صدرها حتى رأى طفلة ترتعد فرائصها من البرد ، طفلة عارية مطروحة على صدر المرأة العاري ! ولما لاطفت الريح وجه الطفلة وهي في السنة الاولى من عمرها اطلقت شهقة عميقة . فحمل الولد الطفلة وبعد ان دفأها بقماشة رثة كانت معه واصل طريقه . ومرت خمس عشرة سنة كان احد الفلاسفة قد حضن الولد والابنة خلالها فعاشا في كنفه . وكان لهذا الفيلسوف الملقب بـ «اورسوس» اي «الاب» رفيق وحيد هو ذئب يدعى « هومو » اي « الرجل » اما الطفلة التي وجدت على صدر المرأة الميتة فأصبحت فتاة في السادسة عشرة ، شاحبة البشرة ، سمراء الشعر ، نحيفة البنية توشك ان ترتعش من الرقة والنحافة ، جميلة الوجه يملأ النور مقلتيها ! فالليلة المشؤومة التي اضلت المرأة فرمتها صريعة الثلج هي وابنتها انجزت طعنتين في آن واحد فأماتت الام واعمت الابنة . وكان اورسوس قد سماها ديا اي « الالهة » اما الولد الذي اصبح رجلًا فكان يدعى جوانبلين .

ولو استطاع البؤس البشري ان يتجسد لما اخذ لحمه ودمه الا من جوانبلين وديا ، فكأن كلا منهما ولد في قبر رهيب ، جوانبلين في البشاعة وديا في الظلمة ، على انهما كانا سعيدين اذ كان كل منهما يحب الاخر . كان جوانبلين في نظر الشعب الذي كثرت رؤوسه فلم يبق

يفكر وفاض عدد اعينه فلم يبق يبصر رجلاً وحشياً فظاً ممقوتاً. اما في نظر ديا فكان جميلاً ، كان المخلص الذي انقذ حياتها من القهر ، والاخ الصديق والزوج المجنح النير ، ذلك ان ديا العمياء لم تكن تبصر الا الروح . وكان جوانبلين الذي سرقته العصابة الرحالة ومسخت وجهه ابن اللورد كلانشرلي احد عظماء انكلترا ، فلما هربت العصابة حملت معها في زجاجة تذكرة نسبه الحقيقي مكتوبة بيد طبيبها الذي تولى عملية المسخ ، ولكن الزجاجة سقطت في البحر فوجدها على الشاطىء احد الضباط الانكليز وحملها الى الملكة فأمرت بان يرجع الى جوانبلين لقبه واراضيه . في اليوم التالي لاكتشاف نسب جوانبلين اجتمع مجلس اللوردات ليقرر اضافة مئة الف ليرة انكليزية كل سنة الى مرتب الامير زوج الملكة ، وكان على كل لورد ان ينهض فيقول « اقبل » أو « لا اقبل . » فلما جاء دور جوانبلين وقف وقال : « لا اقبل ! » فتحولت جميع الرؤوس الى مصدر الصوت ، ولما انحطت الاعين على ذلك الوجه الممسوخ المضحك سرت رعشة غريبة في الصدور ، واذا بصوت احد اللوردات يرتفع صارخاً : « ما معنى هذا ؟ من ادخل الرجل الى هذا المجلس ؟ » ثم التفت الى جوانبلين وقال : « من انت ، ومن اين جئت ؟ » فاجابه جوانبلين بصوت هادىء : « من اللجة ! »

ثم كتف ذراعيه واردف قائلاً : « من انا ؟ انا البؤس ايها اللوردات ، جئت اخاطبكم ، جئت اطلعكم على نبأ جديد وهو ان الجنس البشري كائن حي . ايها الاشراف ، انا الرجل الذي يصعد من الاعماق . وانتم العظماء والاغنياء . انتم تستفيدون من الليل ، ولكن حذار ، فهناك سلطة عظمى هي الفجر . لست سوى صوت صارخ . الجنس البشري فم وانا صرخة . لقد جئت افتح امامكم اكواخ الشعب ، فالشعب سلطان صبور ، ولكنه قاض محكوم عليه . لقد التقطت دفاعي من الاوجاع فاحترموه . انكم لا ترون من هذا العالم الفسيح الا القمة ولكن اعلموا ان هناك ظلاماً . لقد اعطيت اسم اللورد فرمان كلانشرلي في مجلسكم هذا ، ولكن اسمي الحقيقي هو اسم بائس مسكين يدعى جوانبلين . كثيرون منكم عرفوا والدي ، اما انا فلم اعرفه فهو ينتسب اليكم من ناحيته الاقطاعية وانا انتسب اليه من ناحيته المضطهدة . لقد طرحتُ في الهوة . ولماذا ؟ لكي اشاهد الاعماق وانتزع من قعرها جوهر الحقيقة . اتسمعون ايها الاشراف ! لقد قاسيت كثيراً ورأيت كثيراً ! الفقر ، لقد كبرت فيه . الشتاء ، لقد ارتعدت فرائصي من برده . الجوع ، لقد ذقته . الاحتقار ، لقد تحملته . الطاعون ، لقد اصبت به . العار ، لقد شربته . وجئت الآن استفرغ امامكم جميع ألوان البؤس هذه . اتعلمون ماذا شاهدت حين دخلت الجامعة البشرية ؟ لقد شاهدت الشريعة بشكل مقصلة ، والغنى بشكل امرأة ميتة من البرد والجوع ، والمستقبل بشكل طفل يحتضر ، والحقيقة والصلاح في وجه متشرد لا صديق له ولا رفيق الا ذئب . »

وشعر جوانبلين بان الزفرات توشك ان تخنق صوته . ولكن الغريب المضحك انه انطلق في الضحك . فلما رأى اللوردات هذا المشهد اخذوا يصفقون له بايديهم ويهتفون ضاحكين : « عشت يا جوانبلين ! ليعش الرجل الذي يضحك . اكمل . اكمل ! »

فاستطرد جوانبلين في عاصفة من الضحك قائلاً : « ان السخرية تقف في وجه النزع ، والهزء يهين الحشرجة . ايها الاشراف ، ان ملكاً باعني وفقيراً احتضنني . من الذي مسخني ؟ امير ! ومن غذاني ؟ جائع ! انا اللورد كلانشرلي ، ولكني سأبقى جوانبلين . انا بين قوم يفرحون ولكني مع المتألمين . فالحق الحق اقول لكم ان المجتمع الصحيح سيأتي فيحتجب الامراء والاسياد ولا يبقى الا الاحياء الاحرار ! »

وبقي جوانبلين يتكلم والاشراف يضحكون حتى شعر بعجز وخور فصمت صمت القهر . ولما خرج من مجلس اللوردات لم يكن في قلبه الا رغبة واحدة وهي ان يرى ديا . الا ان الفيلسوف المتشرد اورسوس كان تلقى من الشرطة امراً بمغادرة انكلترا لان ذئبه يحدث الذعر في الناس فركب هو وديا والذئب مركباً الى روتردام . وتمكن جوانبلين بعد لأي من معرفة مكان ديا ، ولم يكن المركب قد ابتعد كثيراً عن الشاطىء فركب زورقاً . وبعد دقايق كان مطروحاً بين ذراعي حبيبته العمياء . على ان الموت كان يهم باختطافها فقال : « بماذا تشعرين يا ديا ؟ » فأجابته بصوت متلاش : « وداعاً يا جوانبلين . لقد عشنا سعيدين على هذه الارض ، واحس الان بالموت جاء يفصلني عنك . ستذكر غداً الكوخ الازرق الذي ربينا فيه وصغيرتك المسكينة ديا العمياء . ستذكر انشودتي ونبرات صوتي ، واللهجة التي اقول لك بها : احبك ! . » واغمي عليها .. الى الابد ! فثارت آلام جوانبلين واقبل اليأس ، اليأس الاسود ! فانتصبت قامته ورفع جبينه الى السما. محدقاً الى الظلمة ثم بسط ذراعيه نحو اللجة الرهيبة وصرخ قائلاً : « انا آتٍ ! ها انذا يا ديا ! . » وابتلعته المياه !

كانت الليلة حالكة صماء ، واللجة عميقة ! ولما استفاق اورسوس من اغمائه ولم ير جوانبلين التفت الى حافة المركب فرأى هومو يعوي في الظلمة وعيناه غارقتان في البحر !

الى قاهرية

مهداة الى كامل الشناوي

سكر البدر ليلة ، اين « ايزيس » تناجي ، فالنيل حران صادي
وغناء الزمان في اذن الا هرام شجو مخضب بالتنادي
عصفت آهة بصدري فعيني دمعة تسكب الندى من سواد
اين « ايزيس » ههنا وقع خطو وجنة الخلد دونه حلم حادي

• • •

يا مراح الاضواء باتت نجوم الليل ولهى على السنا الميـاد
قربت سحرها المبهج للرؤيا واغضت عن فتنة وتمادي
تسأل الليل عن تلاقي حبيب وحبيب في الزورق المتهادي
عن صدى قبلة برتها شفاه حالمات الهوى حرار الوداد
وانا ساهر هنا ارقب السمراء في نجوة من الحساد
جاع بي وجدها ، ومالت خيالات ملاح على المياه الغوادي
قرب الفجر اين « ايزيس » لا عين تهادت ، ولا فم الغنج باد
تعبت اضلع الفراغ وهمت رسل الضوء بالشعاع المنادي
وعلى الضفتين تشكو الخيلات ازورار المنى وجرح المراد
ردد الصمت بجة من ضميري فاذا باسمها على ميعاد
يسكب الدفء في العروق فخصب في وجودي ورعشة في فؤادي
اقبلت تسترد ليلا سليبا جرر الذيل في دروب النفاد
واستحمت في عينها الشمس « اين الليل قالت ايحي في السهاد
لم ازل بعد قبلة تشهد الاسحار والعمر حفنة من رماد
نتلهى بها فنحن دمى خرس تهاوى في موكب الآباد
اقبل الآن نترع الثغر ، لا ليل تقضى ، ولا صباحك هاد
قبل ان يستفيق وجه خريفي ويموت الشذى وتبكي « المهادي»

• • •

وجرى النيل مثقلا يملأ الاجيال دنيا القوافي الجياد

صلاح الاسير

معابد الغاب



بقلم الدكتور نقولا فياض

ليست في القباب والابراج، واعمدة المرمر والعاج ، ولا في زخرف الحجر والتماثيل والصور . هي في تلك الخلوات الرحبة ، الغنية باشجار الشوح والدردار والسنديان والصنوبر والتين والزيتون ، تغسلها اشعة الشمس نهاراً وترعاها نجوم السماء ليلاً ، ويغمرها السكوت والسكون في كل آن . كم دخلت هذه الهياكل اناجي فيها روح الوجود وانشد عظمة الخالق في عظمة المخلوق ، واسائل الطبيعة عن اسرارها وانا اردد مع اوميرس : اسمعوا فالصنوبر يغني ، اسمعوا فالنخيل يترنم فتحمل لي تلك الاغاني والترانيم صدى من كل شجرة : انا هو الحاضر والماضي والمستقبل .

اقول الماضي لان للأشجار تاريخاً مكتوباً في قلب الارض خزنته الشمس فيها من الحياة قبل التاريخ، هناك في قبورها العميقة التي طوتها فيها تقلبات الارض في اطوارها الجيولوجية الاولى ، استحجر حطامها ليكون الفحم الحجري والماس . وبعد ان هدأت ثورة النار الداخلية واستقرت الارض على شكلها الاخير عادت الاشجار تغطي المساحات الكبيرة وروتها الارض بدمعها ودمها حتى صارت للانسان صديقاً لا يخون وحامياً لا يهون وخادماً لا يخلف الظنون .

واقول الحاضر لان آثارها تملأ حياة الانسان اين كان في الشرق او الغرب ، في السهل او الجبل ، في البيت والسوق واندية اللهو وميادين القتال . فالمقعد الذي يستريح عليه والمائدة التي يجلس اليها ، والنافذة التي يستقبل منها الهواء والنور ، والنار التي يصطلي بها ، والعصا التي يتوكأ عليها والسفينة التي تطوي البحار والطائرة التي ينفض بها الجو والورق الذي يودعه فكره واحلامه كله من خشبها او نشارتها . تلك سنة الشجر اخذ وعطاء فهي لا تعطر الجو الا بعد ان تمتص من الجو ، ولا تظلل الارض الا بعد ان تأكل من الارض ثم تصير حياتها سلسلة من التضحيات فتقطع وتنشر وتصقل الواحاً وعمداناً وتموت ليحيا الانسان .

هل نقول انها لا تموت بارادتها وانها كانت تفضل البقاء سالمة في غابها تشرب الهواء والنور والندى ؟ ان في هذا القول شيئاً من نكران الجميل لاننا نكون حينئذ كمن ينظر الى حقائق الاشياء نظراً سطحياً ، ولا نستحق بعده ان يكون لنا مقعد للجلوس او مائدة للكتابة او سقف يحمي رؤوسنا ، وألواح مصقولة تمشي عليها اقدامنا .

على ان الاشجار لا تنتظر الموت لتقدم لنا خدماتها فهي تذكرنا كل حين ان التراب الذي ندوسه في المدن ليس كل الارض وان من من وراء الآفاق الضيقة التي نعيش فيها جبالا تدعونا وغابات تنتظرنا لتنسينا ضوضاء المدن ودخانها، وتنشقنا عبيرها وتسمعنا نشيدها وتطعمنا من ثمارها . في الاشجار كما في السفن والنجوم وامواج البحار اسرار قدسية هي شعر روحي وصحة وحرية وامان وسلوان فمن يستطيع

ان يشكو الفقر وعنده هذا الغنى او من يستطيع ان يدعي الغنى اذا كان في حاجة اليها .

انا هو الماضي والحاضر وانا هو المستقبل ، هكذا تقول الشجرة ، لان كل اخضرار في الورق هو اخضرار امل ولا يكاد البرعم يخرج من الارض ويفتح صدره للمرة الاولى حتى تخاله كالوليد في حضن امه ، واذا نما وبلغ قامة الانسان اصبح كالشاب الضاحك في لطفه ورقته ووثوبه ثم يأتي الربيع فيزهر والصيف فيثمر . ومن الشجر ما لا يعطيك ثمراً فهو على حد قول الشاعر :

كم قائل لي ان عرسك عاقر ... لما غدوت متيماً بهواها
فأجبته كم غارس من سروة ... لجميل قد لا يطيب جناها

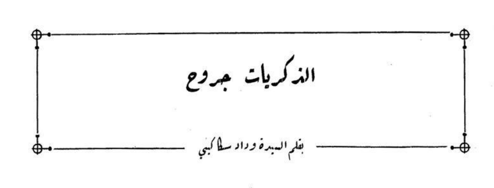
معابد الغاب ليست فقط للوحي والصلاة والتمتع بالراحة والهواء النقي بل هي مدرسة للانسان ومن فوق الماضي والحاضر والمستقبل تلقي الطبيعة علينا بواسطتها دروساً في الجمال والقوة وتعلمنا شرائعها الخالدة فالشجرة صورة الحياة ، الحياة الكبرى العامة المنبثة في كل مكان . من الجذور الى الاوراق عظات وعبر تنبئنا ان لكل شيء قاعدة يقوم عليها نظامه وجماله وان من الاسباب ما يساعد على القوة والنجاح كما ان منها ما يؤدي الى الضعف والذبول وان الصبر لازم في كل امر حتى في نماء الشجر ونضج الثمر ، وان الانسان كالشجرة فكما تحتاج هذه الى تربة ونور وريح وندى وتقلب فصول وحالات جوية يحتاج هو الى تعب وجد وان تجارب الزمان لازمة لنضجه لزوم الامطار للشجر ولله در القائل :

قلب الفتى لا يستوي ان تكن ... سماؤه صافية كل حين

ومن الاشجار ما هو قصير العمر فيسرع باعطاء ثمره ولا يضيع الوقت سدى فكأنه يقول ان قيمة الحياة ليس بطولها بل بخصبها . كذلك نجد ان الزارع يسهر على الشجرة الفتية فلا يسمح لها ان تكون مثقلة بالثمر لئلا تضعف ، والمربي كالزارع فعليه ان يسهر على الاولاد فلا يجهدهم بالعمل الباكر الكثير سواء في عقلهم ام بدنهم .

ارأيت اية آفاق تفتح للانسان معابد الغاب ؟ ان حظ الانسان مرتبط بالشجرة ارتباط الشجرة بالتراب ولهذا كان الاعتداء عليها اعتداء على ثروة الانسان وهدماً لمعابد الشعر والفن والصحة . في بعض البلدان ذات الغابات الكثيفة الواسعة يبلغ حب الشجر درجة العبادة فترى اشجاراً قديمة نخرها الزمان وجعل فيها اخاديد وحفراً فيعالجونها من الداخل بالطلاء والطين حفظاً لها من التهدم والانفكاك وينتقمون من كل من يمد اليها يد الاذى . فما بال الناس في لبنان يجهلون قيمة غاباتهم ، فيشوهون محاسن الوجود ويستهزئون بنعمة الموجود ويجلبون الضرر لانفسهم من حيث لا يشعرون . في كل يوم يقع بصري على احمال من الخشب المقطوع وهي جزء من حياة الجبل تذهب ولا يعوض عنها بزرع جديد . يا سبحان الله افكُتب لهذا الجبل الخالد هذا الفناء ؟ فاذا بقينا على ما نحن عليه من خرق حرمة غاباته مُحي الظل عن جبينه وذهب السحر من عيونه ولم يبق اثر للاهداب على جفونه . ازرع ولا تقطع كلمة جميلة لاصدقاء الشجرة لا يجوز ان نمر بها في منعطفات الطرق وداخل الغابات ولا نوليها اهتماماً ، ازرع ولا تقطع لان في الزرع ضماناً للمستقبل . ازرع ولا تقطع فالزرع جمال البلاد وثروة العباد وبركة الاولاد والاحفاد .

نقولا فياض



غنى موزار عبقري الملحنين انشودة الذكرى لالفريد دو موسيه وهي اغنية مواجة بالشعور ممزوجة بالشجو والرنين بكى فيها الشاعر ايامه الخالية وأعوامه الباسمة ، فكان يخيل لموزار من سحر لحونه ان سحيق الغاب في متناوح اشجاره وهدوء الليل في بعيد اغواره ينادي بشعره : اذكريني .. وبقيت قصيدة الشاعر هذه طرفة الذكريات ولحن الآباد يتردد ويعزف لايقاظ السلوان من جمود الصمت وسكون الموت ، قلت لنفسي ما الذكرى الا حياة ثانية فلولاها لكان لنا عيش واحد راتب يمر به على هون وسآمة ويمضي بنا كما شاء القدر ، فاذا نحن نرى الجديد فنؤخذ بفتنته ونحس بالحديث فنلهو بطرافته ثم لا شيء بعدئذ يبقى منها في قرار نفوسنا ، ترى هل كانت تطيب لنا حياة من غير ذكرى فلا احزان تثوربنا مواضيها ولا افراح نأسى على ما فاتنا منها ؟ ولعل العمر كان يخلو من كدر لولا الذكر ، فالنسيان اذن من النعم كما يكون من النقم ، وما كان يقع الكدر فيعكر صفو حياتنا لولا تأثيره فينا وتذكرنا اياه ، فاذا مر وغبر وسلوناه او نسيناه بتنا هانئين مغتبطين ، صفحات قلوبنا بيض لم تخط فيها الذكرى سطراً اسود .

كان أبقى على ذمائنا واحلى لعيشنا واسعد لحظنا لو لم تكن الذكرى منغصة مؤلمة ، لا يشكو احد منا الى احد غدر صديق او تنكر زمان ولا تقص امرأة على اختها قصصاً من فجائعها ومواجعها ، ولا ينطوي عزيز قوم ذل طي الكتاب على مجد آفل فيرد بالاحلام عهده الغابر حين كان يتقلب على اعطاف النعمى والترف ، ولا كان الشيوخ الضعاف او الشباب الاقوياء يضهم الاسى على ما مضى من سنين عايشوا أيامها في خير او شر فان ذكرى ما ذوى من ازاهير شبابهم تجرح موائل ايامهم وتنذرهم بمستقبل مجهول وأجل من دون علم الله ... ولولا الذكرى ما كاد المريب ان يقول خذوني .. ولا كان المجرم خائفاً مما اقترف في ماضيه ، فاذا اغلى الحظ ثمنه وغفلت عنه الاقدار لم يدمر عليه تاجر الذكريات فيدعوه الى بيعها بابخس الاثمان ؟ قلت هذا ونظرت الى الناس فخيل الي اني ارى وراءهم افواجاً تتبعهم وظلالا تلحق بهم ، انها الذكريات تمشي قدماً خلف اصحابها بل هي اتبع لهم من ظلهم لانها موصولة بخواطرهم مندسة في طبائعهم ، فيها نصب لهم وشكوى او استجابة ونجوى ولذة وسلوى ، ولو احصينا أشقياءها لزادوا على السعداء ، على ان أجمل الذكر وانقاها وابقاها على الايام هي ذكريات الطفولة ومطالع الشباب بما فيها من لهو ولعب وغرارة ومغامرة وفرح ومرح ، ومن الذكريات أفاع تنسل خلال الهواجس الى النفوس فتلسعها وتقلب مسراتها ومباهجها كآبة ووجوماً ، وسكينتها ثورة وقلقاً . مما يروى عن المجنون العامري قيس ليلى ، سكونه الى كثبان الرمال وجلوسه على ضفاف الآبار تحت ظلال النخيل فاذا مرت به ظبية نافرة او وقفت على عدوة منه فأمالت نحوه جيداً أتلع ورنت اليه بعينين سوداوين كحيلتين ذكرته ليلى فهب ثائراً خلفها ففاتته نافرة فاذا هو في منعقد الرمل غمى مطروح .

وللذكريات ارواح ورياحين نهفو اليها بلذة ولهفة ، فتحيل اتراحنا فرحاً ، وعبوسنا ابتساماً ، ومن يدري فرب ذكرى حلوة تطل بلحظها الساحر في غمة الهموم والفوادح فتنجلي الغمرات وتتألق على الوجوه بشائر الرضى والسعادة كما جعلت الحجاج الثقفي يرتد الى نفسه بعد غضب عاصف ويتبسم ضاحكاً اذ مثل في الذكرى حياته الاولى حين كان معلماً لصبيان الطائف يطوف عليهم وبيده عصا يقرع بها الجدار ارهاباً للاولاد ثم يرده

الواقع الى عصا كانت في يده وقد هزها منذ حين في وجوه قوم من اقرام الرجال العصاة في منازل الكوفة ، تلك ذكرى ربما طوفت بخاطره فحمد الله بعدها اذ صار امره الى طاعة ورفعة والى مجد خالد وصيت بعيد .

ومن العجب اننا ندفن الذكريات في صميم صدورنا وكمين اسرارنا ، فنحن احياء نحمل امواتاً ، وقد نلحد بعضها في اسفاط وخزائن او ندرجها في الدروج ثم نتركها زمناً حتى تبعث حية تهزنا حيناً بالسرور وحيناً بالالم والمساءة ولعل فيها كتاباً او صورة او هناة او اداة وتكون ارواحنا في هجمة انس وطرب فتمتد ايدينا بغتة الى هذا الدرج او ذاك الصندوق نبحث في اعماقه واطباقه عن حاجة نبتغيها فتمسك اناملنا بشيء منه يشير الى ذكرى ولا يكاد البصر ينصب عليه حتى تجمد العروق في أكفنا ويغرغر الدمع في اعيننا إذ أن في ما رأينا ذكريات ممضة منغصة هاجت منا المشاعر والآلام فكأنها القيت في خواطرنا ومتاعنا لنحفظها ونحميها معها آلمتنا ونعينها على البقاء ما بقينا .

وبعد فليست كل الذكريات جروحاً ولا هموماً ، بل كثيراً ما تكون بلسماً للجروح وفرجة للهموم ، وقد تندمل الذكرى الجارحة وتلتئم او لا تندمل ، وكيف رمت او انسحب عليها الغطاء . فلا بد لها من ساعة او فجأة تنكؤها وتكشف عنها فاذا هي ما زالت دامية اليمة .

هكذا قدر للانسان ان يعيش مع امة من نفسه ، تمثل له في آفاق حياته ألوان الظفر والسعادة او ضروب الخيبة والشقاوة ، وأي امرىء خلت حياته من اعباء الماضي وتكاليفه ؟ كلنا مثقلون بحمل ايامنا الفائتة ، قلت او كثرت ، فليكن لنا من ذكرياتنا عبرة وموعظة تنفع حياتنا وتسمو بها ارواحنا ، وحسب الانسان منها ان يخلو اليها حيناً بعد حين فيجلوها ويناجيها ويشكو الهابته وحزنه فقد ينشأ بينه وبين ذكرياته صداقة تنسيه لؤم الاصدقاء ، بل ما احراه اذا كان من الادباء ان يكتب من الذكر ما هو حري بالتدوين والتسجيل ، فخير الاداب الحديثة ما اشتمل على ادب الذكريات ، هذا الادب الخالد بشعور أصحابه ، الخافق بشؤونهم وشجونهم ، المبعوث بطرفة عين ويقظة فكر من اطباق الماضي العائد الينا وكأننا نعيش فيه ، فكم من استغراقة ذكرى خلعت علينا ما نضونا من ثياب الاعمار ! وما اكثر ما استجابت الذكريات لقرائح الشعراء .

حين ترك ابو العلاء معرة النعمان وقد شد رحله الى طية عراقية او شامية وقف به دليل ركبه على تراب يسوفه ففكر اذ ذاك المعري بامامة وهي معرية الموطن فهاج ذكراها في نفسه ذلك التراب ولعلها كانت فيه دفينة فقال :

ولقد ذكرتك يا امامة بعد ما
نزل الدليل الى التراب يسوفه

وقد عز على عنترة العبسي ان تحتويه الوقيعة وتدور فوقه الاسنة فتنسيه عبلة فقال عنها :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل
مني وبيض الصفح تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لانها
لمعت كبارق ثغرك المتبسم

ومن الشعراء من انتفض للذكرى فقال :

اذا ذكرت يهتاج قلبي لذكرها
كما انتفض العصفور بلله القطر

ومنهم الغريب الدار المنقطع الاخبار القائل :

اذكرونا مثل ذكرانا لكم
رب ذكرى قربت من نزحا

حتى اذا كان عهد شوقي يرحمه الله قال :

ثلت في الذكرى هواك وفي الكرى
والذكريات صدى السنين الحاكي

وداد سكاكيني — دمشق

تحت اجنحة
الليل الازرق

◆

بقلم
نوري الراوي

١

الحلم الناعم المتململ بدأ يُغرق حسي . .
وبقايا شحوب ذهبي يجر غلالاته على الرمال الصفراء .
ليس احب اليّ في هذه الساعة من ان اصحب هذه الاشراقة بأناة لذيذة . . .
وان افرح بألمي . . . ألمي الذي صار فيك فرحاً اكبر .
ان الحياة يا حبيبتي ، ألم خالق مرهق ، مفرح ، كأنما هو يتفجر من قلب يكبر كل هذه القلوب بجسامة الالم الذي يحمله . .
الحياة يا حبيبتي زهرة عطرها فيك ، وسرها في اعماقك . . . ولكن سرعان ما يزول هذا العطر ، وتولي تلك الزهور الحارّة ، ويحل رماد الذكرى بدل تلك الفتون العمياء ، فاذا العين الباكية تستيقظ على بكاء الشيخوخة ، وعويل الخريف ، وعرى الاماليد . . .

٢

ان ذراعي لا ينفتان يبتسمان لك ، ويلذهما ان يحبسا نفساً من انفاسك العاطرة . .
فلا تبخلي ان ترمي بهذه البتلة من ازهار نيسان على صدر من أحببت . . .
وان تردي بقية من هذه الشكاة اليائسة الى بحر اشجانه التي لا تنتهي . .
آه يا حبيبة . . هذا الكأس الاحمر ، تمتد الى عمقه زهرات القرنفل ، كأنما هي تمثل طيفاً من الوان روحك .
لقد امتلأ به ناظري ، ثم لم أعد ارى الآه . . هي ذي انت يا طيف الالوان . . أنت يا حبيبة ، وجسمك الصغير وضفيرتان تلوحان على كتفيك . . وبسمة اودعتها امك على خدين بلون الجلنار وهمسة عابرة تلوح بين شاطئين من جمال عينيك . . وهمسة صغيرة . . لا تتعدى انفراج شفة مقبلة . .
فيها افراح حياة وآلامها . . .
همسة حب . . في ظلال حب لا غناء وراءه ولا امل فيه .

٣



بقية من نجوم الليل تذوب في الكأس .
وأجمل نجمة فيها تتألق في عيني . .
لك حبي أيتها النجمة التائهة . .
لك حبي أيتها البسمة الطافية على ثغر السماء .
ها أنا مع الليل أنظر جدائلك الفضية وهي تضطرب في مسارب النور . .
لكم تبعتك بانظار قلبي أيتها البسمة التائهة ، تبعتك وأنت لا تدرين . .
ثم ألقيت لك بهذه السلاسل من أعناق الورد ، لتربط قلبينا في ظلال الصفصاف الباكي
ولكنها تاهت بين هبوات الضباب الرمادي الراقصة فوق النهر المحبوب . .
ولم تصل اليك . . فبكيت على طلول هذه الذكرى كالاطفال . .

٤

مع الصحبة العابقة ، مع نثار عطرها الراجف . . في حنايا ربيعها الاحمر . .

سمعت قلبك الطفل يتوثب . .

لقد دسسته بين الاوراق اللينة ، فروعتك نهاية مشهده الاليم وهو يتمرغ في لجة من العطر المفضض بالنور . .

كانت ظلال الخوف الطفولي تبدو على وجهك الساذج ، تتبدل كالاضواء الرفافة . .

ثم تختفي في مثار هذا المرج الكبير الذي يموج في دمك . .

كنت تفرحين لانك اعطيت قلبك للرجل . .

كنت تفرحين وتخافين . .

ولكنك رضيت ان تمجني الامل والالم في ضحوة ربيعك الميمون .

آه يا صغيرة . . لقد وجدت قلبك ولكنني لم اجد فيه قلب حواء .

٥

على ذكرك ياصغيرة .

على طلول ذاك الذكر المطوى .

أسلت مدامعي ، واستعذبت البكاء في سبيلك يا ابنة حواء .

لشد ما تريحني هذه القطرات الحارة . . عندما ترجف في قرارة عيني .

ان مسيلها الفضي ، ليرشش دمائي بقبلاته الباكية .

فاشعر بثقل اهدابي وخفة جوانحي .

لقد فرغت الآن من تجرير هذا الكفن الطويل . .

و دفنت أجمل مشاعري في حضن تلك الصفصافة الحانية .

وتحت هيادب اغصانها المرضى ، غرقت باحساسي ، ونسيت كل ما حولي من ضحك وبكاء .

لقد خلفت ورائي العالم ، وهو يئن ويقضقض ويرجف ويضحك .

لقد خلفتك ورائي وقد اثقل اهدابك الطفلة حلم « شجي » مبهم .

فتركت حبي الموهوم يسبح في مسرى عبير تلك النظرات .

آه لك يا ابنة حواء . . لقد بعثت من جديد في ظلمة قبر جديد .

فوداعاً . .

٦

حبذا لو كنت بقربي الآن . . لشد ما يشوقني ان تهنأ هذه الخرائب بصداح بلبل غرد .

لقد مللت سماع هذا النواح المتقطع تلفظه من اعلى الاعمدة المهدمة مناقر البوم .

لقد سأمت حتى نفسي . . فاردت ان اخرج عنها الى غير مآب .

تاركاً في قرارة ظلمتها الحارة نزق شبابي الاول .

ان ظلال النخل تمتد وتطول . .

وعبير الليلة يغرق مشاعري .

وانت ياذات الغدائر الحم ، لا تدرين انك الان تمرحين في قلب هذا الشاعر المفتون .

٧

اذا ما تاهت العين في مسار الاطواق الزرقاء . .

تاركة نثرات هادئة من مباهج ألمها المستعذب . . ترنّ في قرار الليلة السكرى .

اذا مـا تأودت الحان الصفصافة في هذا الجو المستغلق حالمه ، المستطاب سكونه .

ورمت شباكها الى ذلك النهر الطروب .

باحثة بيد لذتها الواجمة عن تآويه هاته الافنان المتقصفة .

بعثتُ كل محبتي وكل آمالي . . ودماء قلبي . .

تبحث عنك .

قد تكونين تحت ظلال سعفة تنوس في صميم ليلة قمراء .

قد تكونين يا ذات الغديرتين المظفورتين من ليل الاندلس قد لويت جيدك واسلمت للرقاد جفنيك .

وربما . . ربما اسهرك هذا الخيال المبرح ، فأخذت تنظرين من خلال سجوف احلامك السابغة الى ذاك الحبيب . .

وهو يغفو على لحن من ذكراك . . .

٨

هي ذي الاعمدة الفارغة يتناثر عليها بكاء الاثير . .

وتختنق فوقها سوابح الغيوم .

ان ظلا محموماً من ظلالك يا فتنتي يمرّ شجياً كالطيف .

يحمل لذاذة كبرى من لذاذات عينيك . . .

ولكنه لا يفتأ ان يتلاشى كالحبب في نافورة من البلور .

ان حظنا من الحياة كهذا الحبب يا فتنتي . . .

يفنى ببعضه اثر لقاء قصير . . .

ويزول كنغمة من نغمات النواعير .

كل شيء يبسم الان ، ولكنها بسمة ما اسرع ان تمحي في تلك الاقواس البنفسجية المتلاشية في الظلام الازرق . .

كل شيء يبتسم لي . . .

وكأن ثغور الاف الاطفال تغزو عينيّ .

آه . . هو حلم ما أسرع ان يمحي . . .

كحبب نافورة من البلور .

نوري الراوي ـــ بغداد

مكاذبة النفس

بقلم سهيل ادريس

●

كان للشاعر الفرنسي « بوالو » فكرة خاصة به تتعلق بنظرية الابداع « L'originalité » فكان يتساءل : « ما هي الفكرة البديعة ؟ » ويتلخص جوابه في « انها ليست هي الفكرة لم تخطر الا لقائلها ، ولم تتجه الا لذهنه، بل هي ، بالنقيض ، فكرة خطرت على بال الناس ، واتجهت لاذهانهم جميعاً ، ولكن المبدع فيهم هو الذي تقدر له ان يجلّيها اول من يجليها.. وان يكون المعنى جيداً ، والفكرة صالحة الا بقدر ما يحويان من اشياء يفكر بها كل شخص ، ويديرها في ذهنه .. » ولعل هذه النظرية لم تسنح لبوالو الا لانه فطن انه عاجز عن الابتكار والاختلاق . وان هذا لعلى حظ من الصحة كبير . ومن ادلة ذلك قوله صراحة عن نفسه : « وحتى في التقليد ، اراني دوماً مبدعاً ! . » على ان هذا لا ينفي ان تكون النظرية صادقة . وانها لكذلك . فقد اجمع على صحتها كثير من الكتّاب ، ممن ابتكر ابتكاراً ، او قلّد تقليدا ..

انما الاديب المبدع حقاً ، هو الذي يتهيأ له ان يحسر عن فكرة مكنونة تمور بها العقول ، ويكشف عن عاطفة تضمها الجوانح، وتضطرم بها الافئدة ، غير انها تجنها عجزاً منها عن ايجاد سبيل الى اظهارها .

وانا في الحق احب الكاتب او الشاعر ، يفكر فيكون تفكيره صدى لما يتنازعني من فكر ، اكثر من حبي للكاتب او الشاعر ، يفكر فيبتكر افكاراً لم احسها ، ولو انها اثرت في قليلاً او كثيراً ، واعجبت بها الى حد من الحدود ..

تلك مقدمة — واخالها قد طالت — ساقها بيت واحد لشاعر لا تعنى كتب الادب به العناية الكافية، واعني به الشريف الرضي. اما البيت فهو من تلك المعاني الخالدة الراسخة في النفس .. فكرة بديعة لا يجلوها الا من له هبة الكشف ، وميزة النفاذ :

وكاذب النفس يمتد الرجاء لها   ان الرجاء بصدق النفس ينقطع

اقول انه معنى قد طبع في كل نفس ، وتمثله كل قلب ، ولكن لم يتهيأ لكل عقل ان يتمخض عنه .. وهكذا كثيراً ما تكون المعاني التي تدرك بالحدس معاني صعبة الادراك بالعقل والتروي والتفكير . وتحرير ذلك البيت يتلخص في ان الرجاء هو قوام النفس ، وعلالة الفؤاد ، به يعيشان ، ومنه يتنسمان عبير الحياة .. ولولا ان الرجاء يسبق كل عمل ويعقبه، لتكشفت الحياة عن اليأس المطبق والاسى البالغ .. واذاً ، فان اعمالنا منوطة اول ما تكون بالرجاء والتأميل . ولا شك في اننا لولا توقعنا الرجاء قبل ان نأتي عملاً ، لاحجمنا عن اي عمل ، ولانصرفنا عن كل اقدام ، لان النفس كما جبلت على التأميل والاستبشار ، جبلت على التحرز من الاخفاق والخيبة من العجز .. والتخوف لا شك عامل قوي الاثر في عدم الاقدام على الاعمال .

وهذه حقيقة تجابهها النفس في كل حين ، وهي حقيقة صعب عليها تحملها ، لانها كفيلة ان تصد عن كل مراد ، وتصرف عن كل غاية، فكيف للنفس ان تواجهها ؟؟

هنا موضع بيت الشريف الرضي . فان النفس لما كانت تتخوف وتتحرس ، وهي في الوقت نفسه راغبة ان تبلغ هدفاً او تصل الى حاجة فانها لا بد لها ان تكاذب وتراوغ . وليس العاقل من يصدق نفسه ، ومن لا يكذب ضميره ، فيضع للرجاء حداً ينتهي عنده ، فلا يتعداه الى الامل الخلب ، بل هو بالنقيض من يكاذب نفسه ، ويخادع ضميره ، ليمتد له الرجاء .

ذلك ان من يقطع الرجاء بمصادقته نفسه ، يكون غير مؤمل من عمله اية ثمرة ، يكون قد اعتبر نفسه فاشلاً خائباً . ولقد اثبتت حوادث الزمن ان ذلك العمل كثيراً ما ينكشف عن ثمرة مفيدة ، ولو ان صاحبه كان قد نحاه عن ذهنه ، وقطع منه كل فائدة . وفي تلك الحال لن يفيد اليائس من تلك الثمرة شيئاً ، بل لعلها تضيره وتؤذيه اذ قد يكون عمل عملاً آخر مخالفاً من حيث الفائدة لذلك العمل الاول وبغيته في ذلك التماس سبيل آخر قد يفضي الى مراده ...

واذن ، فما على المرء ان يكاذب نفسه ، ايمتد لها الرجاء ؟.

وهنا تجبهني بسؤالك ، يدور زمناً طويلاً في خلدك : « واية فائدة في امتداد رجاء النفس ؟ » اظن ان ذلك هو لب الموضوع .

لا ريب في ان الذي يرتضي ان يكاذب نفسه ، فيمد لها في الرجاء ، سيكون راضي النفس هادىء الضمير .. وهنا الفائدة عظيمة جداً ! ذلك ان النفس يؤنسها ويغمرها ان تفكر فيما لا تحب التفكير فيه ، اعني في الذي تخشى او توقن انه عقبة في سبيل مبتغاها ، والا فهي توقن انها عاجزة عن اي عمل ، مخفقة في كل شي .. وان ايقن صاحبها هذا اليقين ، فانه يصدف حتماً عن الاعمال ، ويتنكب — راضياً — سبل الاقدام ، ويتراجع عما يخشى ان يقع فيه . وليس من شك ان في هذا انعدام الثقة ، وانتفاء الايمان .. وان الذي يفقد ثقته بنفسه، وايمانه بمقدرته ، يفقد من الحياة اسمى ما تعني ، يفقد الشخصية ، فيعيش في زاوية مظلمة من زوايا الجهل والحرمان ... وفي ذلك كله ضرر له نفسه ، بل ضرر المجتمع الانساني قاطبة ..

ونحن نعلم الان ان ذلك راجع الى انه صادق نفسه ، فنحّى الرجاء جانباً ، وصدف ان عمله لم يؤت ثمرة ، ففقد ثقتـه بنفسه ، ولم يجترىء على اتيان اي عمل بعد ..

تلك حالة من يصادق نفسه ، فما حالة من يكاذبها ؟!

اول ما يبدو لنا ان هذا الاخير لن يقدم على اي عمل قبل ان يتريث ويروّي في امره ويقتله بحثاً ودرساً ، حتى اذا رجح لديه الظن انه سينجح في هذا العمل ، رأيناه يقبل عليه بجرأة وايمان وثقة ، ويلبث ينتظر نتائجه ، يمده الرجاء الواسع ويسعفه الامل العريض ..

ولكن ان يترتب على ذلك ان يكون النجاح مؤكداً ، بل هو قد يخفق اخفاقاً كبيراً ، ولكن ذلك الاخفاق لن يصرفه في حال من الاحوال عن الاعمال ، بل يحتم عليه ان يقدم غير وجل ، ما دام الرجاء يملأ قلبه ايماناً بالنجاح ، والامل يفيض في جوانحه ثقة منه بنفسه .

ولا شك في ان كون عمل هذا « المؤمل » قد احتيط له ودرس طويلاً وبحث ، يقربه اكثر ما يمكن من النجاح ويؤمن له سبيل بلوغ الغاية .

وهكذا يتضح ان من كان يصدق نفسه وضميره ، فيقطع لها الرجاء ، يخشى ان يخفق في اعماله ، فيتراجع عنها ، ويفقد قيمتـه في الحياة . بينما نرى من يكاذب نفسه وضميره فيمد لها في الرجاء ، عظيم الاقدام ، كثير الاعمال ، ناجحاً في الحياة وسعيداً .

*

واود قبل ان اختم هذه الكلمة ان اروي قصة قصيرة وقعت لي بالذات ، اول ما بدأت اشتغل بالادب . فما زلت اذكر اليوم الذي ارسلت فيه اول مقال ادبي لاحدى الصحف الادبية ، منذ بضع سنين . ومكثت انتظر صدور الصحيفة تنظراً ، يحملني الشوق والرجاء ، الى اجواء عاطرة بالاماني الخلابة . وصدرت الصحيفة ، فابتعتها واجف الصدر ، راجف الفؤاد . وقلبت الصفحة الاولى منهـا ، وسارعت فقلبت الثانية كيلا ارى الفهرست ، وذلك لامد لنفسي في الرجاء ، ومكثت اقلبها صفحة اثر صفحة ، حتى انتهيت الى آخرها ، ولم اجد فيها مقالي .. فقلت في نفسي : « لا شك في ان المقال لم يصل ، فلأنتظر اسبوعاً آخر » وانتظرت اسبوعاً خلته دهراً ، وصدر العدد التالي فكان خالياً ... اعني خالياً من مقالي ! قلت في نفسي : « لم يجد رئيس التحرير مكاناً يتسع له في هذا العدد ، فالى العدد القادم » وصدر العدد التالي ، فرأيت فيه كثيراً من التافه (كذا) ولم ار مقالي .. وصمتّ لحظة ، ثم قلت : الواقع هو ان المقال ضاع بالبريد !! »

واطمأننت الى هذا كل الاطمئنان . وتماديت في مكاذبة نفسي ، ولم اجب على هذا السؤال « لماذا لم ينشر المقال » بحقيقتـه وهي « لانه ليس جديراً بالنشر » ..

وطفقت ارسل المقال تلو الآخر ، فارسلت اولا وثانياً وثالثاً ... الى ان نشر الرابع ! والشاهد هنا ، هو في انني لو لم اكاذب نفسي لانقطع الرجاء ، ولو انقطع الرجاء ، اصدفت عن روض الادب ... ولعل في ذلك خسارة لي .. او .. خسارة لروض الادب !!

فبيت الشريف الرضي حقيقة اولا ، ونصيحة ثانياً ..

اما انها حقيقة ، فكلنا يحس واقعها في نفسه ، واما انها نصيحة ، فالحياة اكبر شاهد على صدقها :

وكاذب النفس يمتد الرجاء لها   ان الرجاء بصدق النفس ينقطع

سهيل ادريس

الى سومي

•

حنانكِ لا تكتمي
هواكِ ولا تندمي ،
فلي منكِ أمنية الجريح
من البلسم .
واغني — وما كنت قبلك
غير فتى معدم ،
شريد يجر امانيه
في افقٍ مظلم ،
ويمسي على خاطر
عليل الرؤى مبهم .
حنانكِ ، لا رحمةٌ
اذا انت لم ترحمي ...
تعالي نفضّ الهنيهاتِ
ملأى من المغنم ،
ونجني منىً هي من قبل
لم تجنَ في موسم ،
تحاك لنا من خفوق فؤادي
ولونِ دمي ،

فنذهب اسطورة
رواها فمٌ عن فم .
تعالي نفتّقُ دنيا ربيع
من البرعم ،
وننسج حلماً أشدَّ رواء
من الانجم ،
يبلّ الخلود ، يبلّ
سماح الغد المنعم .
تعالي ، فوهج الوفاء
يموج على مبسمي :
أنا لكِ أحلى من البوح —
في مسمع المغرم ،
وأطهرُ من توبة الاثيم
عن المأثم .
تعالي ، ولاتكتميني
هواكِ ، ولا تحجمي
فلن ارتجي رحمة ،
اذا انت لم ترحمي .

نوفمبر ١٩٦٠

يوسف الخال

المعبودة

بقلم محمد حاج حسين

ليسانسيه في الآداب من جامعة فؤاد الاول
واستاذ الادب العربي في التجهيز ومعهد الفرير باللاذقية

أحجمت وترددت كثيراً ، ثم اقدمت على سرد هذه القصة : خيـال ، وهم ، حقيقة ، أي هوة تفصل بين هذه الاقانيم : الروح ، ألا تتراقص في عوالم ، لا يحدهـا مكان ولا يعدوها زمان ، الاجيال السحيقة والقرون الغابرة ، أليست لحظات أشرقت في صحو الحياة الجياشة ، ثم انطفأت كلمح البصر ؟ أمن معقول ان الروح تذبل وتموت ؟ يا الهي كم يرعش الذعر في جسدي عندما تمر بي الذكرى ، التي لم يبقى منهـا ، غير الوجع ومض الآلام : لقد مرت ثلاث سنوات على هذه العاطفة التي نشبت في اعماقي ، وعانقت فؤادي ، وهي لا تزال دفاعة متجددة ، فالاحداث لم تخنقها بل زادتها احتداماً ، وأضفت عليها قبسة من الجلال ، واشراقة من القداسة ...

كان ذلك في مدينتي الحالية بالجمال النهم ، طرطوس ، النائمة على شاطئ البحر الابيض المتوسط ، رابضة للاجيال ، مقهقهة للدهور ، تضاحك الايام ، وكأنها ابتسامة الحب الطافحة بالنور . وانبثقت حوادث قصتي هذه في خريف سنة ١٩٣٩ ، في ليل من ليـالي تشرين الثاني ، وقد ضحكت نجومه في سمائه ، وشعّ القمر تياهاً غامراً الدنيـا بسناه ، أصابني أرق جاهد ، لم أصب به غمضة عين ، تخدر اعصابي المهتاجة ، وتنقذ نفسي من نفسي . كنت في الثانية والعشرين من عمري ، وكأن الايام القت علي وقر الثمانين ، فاليأس العريض احتلني ، وشعرت بتفاهة الحياة وفراغها ، وضقت بكل شيء ... وتمنيت الموت ، الذي يخلصني من اوصابي .

ما ابهج الماضي القريب ! أي حياة رائعة هذه التي كنت احياها في القاهرة ، ولياليها الزاهرة ، وخوالبها المتجددة ، أبعد هذه الحيـاة النامية ، الموشعة بافانين اللهو ، أعيش في هذه البلدة الضيقة الصغيرة ، وذلك الطرب الذي كان يشيع في اعطافي ، لجمالهـا ، في صباي ، قد تلاشى ، وتراءت لي كفحمة جهمة ، تربد حياتي وتلونها بالمآسي ...

كانت امنيتي ، بعد ان نلت الليسانس ، الذهاب الى اوروبا ، لامتلئ تجربة وحكمة من هذه الدنيا الفياجة ، وعمل خيالي في توشيته ، صورة ماجدة ، لحياة بهية ، في اوروبا ، بعد ان تحررت نفسي من كل الاوهام ، ونفضت عنها كل الاعبـاء ، لترتوي من فيض اللذائذ ، وتُسعر الحرب نيرانها المجرمة ، بعد فوزي بشهادتي ، بثلاثة اشهر ، فأرغم على البقاء ، ونفسي ممزقة واحلامي مبعثرة ...

وأصبحت استاذاً للادب العربي ، ورحت مندفعاً بكليتي في عملي لانسى هواجسي ، ولكنهـا تربو وتزخر ، حتى تحيلني الى نضو خيال ، وايام القاهرة تنغص حياتي ، وتؤذيني ، فأبرم بكل شيء ، وتستبد بي نقمة طاغية ، حتى على اهلي الذين كانوا السبب في وجودي . فحياتي باردة لا تستحق الحياة ، وانا غريب بين قومي . وانسلت من البيت في الهزيع الاخير من الليل ، وطبت لجمال الليل الوحشي وشدهت للناس الذين ينامون ولا يستمتعون بمباهج هذا الليل ، الذي يريق القمر فيه ضوءه الفاتر على المدينة ، فتستحم في بركة من نوره . فالحياة قصيرة المدى ، أنقضي قسمها الاكبر في النوم ؟ وفي القاهرة تعودت السهر ، فلم يمر علي ليل ، استطبت فيه لنومة اكثر من اربع ساعات .

كانت السكينة ترفرف على المدينة لا نأمة ولا حركة ، كأن الطبيعة حزينة مثلي . وقادتني قدماي الى البحر الذي يغني لطرطوس اغنية الابد ، ويحضنها بانغامه البكر . ورحت امشي وئيداً على الرمال ، والبحر هادئ يرسل امواجه الشاجية ، على الشاطئ المسحور ، وقد دغدغته أشعة القمر الرقيقة ، تلثمه بحب ودلال . واستروحت لهذه الهدأة الفاغرة ، وثلجت نفسي وافرخت فيها طمأنينة سرية عذبة .

ورميت معطفي على الرمال ، وجلست عليه واشعلت سيجارة تعقد امامي سحبـاً من الدخان ، وفجأة ، ترامى الى اذنيّ ، انغـام تائهة حلوة الوقع ، كانت الانغام الخالدة ، التي سمعتها لعباقرة الموسيقيين العالميين ، تموت ازاءها ، فاستنمت خفقها متلذذاً ناعماً قريراً .

وتمشى قلبي من الروع في صدري ، وازبأر شعر رأسي ، ومشت رعدات في مفاصلي ، وكاد عقلي يشب من رأسي ، لهذه الفوجة النورانية

التي برقت وامضة في البحر ، فكأني ارى غمامة نور تقفز على متن الامواج ، بريث واناة ، ونما اضطرابي عندما رأيت الغمامة تنتفض على الشاطيء ، ويبدو منها شبح يتهادى في مشية رفيقة غنجة ، لم ار مثلها في وقعها وجمالها ونداوتها ، واوشكت ان اقذف صرخة من اعماقي الذاعرة ، وما استطعت الى هذه سبيلًا .. ومشي الشبح ، يتجه صوبي ، وانا في شبه غيبوبة ، حتى حاذاني ورفعت عيني المعذبتين ، فاذا بنور وهج يأخذهما وبصرت بغادة مشيقة ، مرسلة الشعر على كتفيها العاريتين ، يتدلى حتى اقدامها ، كانت عارية مجردة من كل لباس وجسمها البضاض كشعل من نور . جلست قبالتي تحدق بي بعيونها الكاوية البعيدة القرار ، التي تجمعت فيها كل معاني الاغراء والاغواء . وذهب الخوف عني بعض الشيء ، وحاولت الكلام فترجرج على شفتي ولكنه لم يلبث ان انتحر . وان لذتي في الروعة التي استجليها من هذه الغادة الرواع ، لا يحدها وصف . ما اجمل الدهر لو كفّ عن الدوران ، لاغرق بين طيات هذا الصدر الذي يقفز فيه نهدان في فتنتهما الغافية ، ليكونا مثواي الاخير ...ورجفت يدي بشدة ، عندما رفعت يدها النضرة ، اللألأة ، ومرتها على يدي ، فالنيران تضرمت في عروقي ، حتى استحلت الى وقيدوعزمت على تطويقها بذراعي المشتاقتين ، ولكني جمدت لا استطيع حراكا ولا بنسة ، ورفعت يدها النارية عن يدي ، وكنت اتمنى ان تنعقد عليها حتى الابد لا يزحزحها الزمن بأذيه المتدفع .

وخفق صوتها في اذني كأنه جلوة الربيع وبسمة الخريف ، وشحوب المساء ، ولم تتضح كلماتها لي لاول فينة ، وما عتم الامر ، حتى انجلى صوتها كحنة الناي في سمعي . تمتمت : يا ربتي عشتاروت ، يا الهة الخصب والحب والنماء ، يا ام الفصونْ ، ويا غذية الاجيال ، وسايلة الالهة ، اما حان لروحي ان تقر في لقاءة مرجوة مع حبيبها . عشتاروت ، يا ربة الدنيا ، ارحمي صالونا المعذبة ، التي تنتظر ولادة حبيبها ، لترقه الحب وتحفه بالعطف ، وتذيقه جمالها ، دبيب الحقب المتباعدة .. عشتاروت ، يا حبيبة الاله ادونيس ، انت التي اضجعته على سرير من الخس ، وضمدت كلومه ، ارحمي صالونا وعجلي لقاءها بحبيبها عشتاروت ، يا ظئر الطبيعة ، يا ام الوجود ، عشتاروت ، ربتي ارحميني ..

ولما آذنت بالسكوت ، طفر صدري بوجيف جبار . ووثبت تتجه صوب البحر لتغرق في طياته ، ولست ادري كيف جاءتني شجاعة عارمة فصوبت اليها نظرات ضارعة وقلت : ايها الملاك لا تذهب . والتفتت اليّ غريرة ، وقد شعت عيناها ببريق فاتن : لا افهم ماذاتريد ، انا صالونا الفينيقية ، وجلست على الرمال برشاقة ، وقد علقت بعض ذراته على ظهرها المنسكب من النور ورفعت يدها حتى لامست جبهتي وسحبتها بسرعة بعد ان مستني النيران وغمغمت : لست هو .. فقلت : ومن هو ؟ فأطرقت هنيهة صامتة لارى الدموع النادية تلألأ وجهها الاسجج ، وارسلت تنهيدة تلتها بآهة ، وزقت كياني وقالت : سأفضي لك ايها الغريب بدخيلة نفسي وخبيئة ضميري لترى بليغ القسوة التى رفت علي طيلة القرون . لقد عشت في هذه البلدة ، انترادوس ، منذ آلاف السنين ، يوم كانت تزهو بالفينيقيين الغر ، معلمي الشعوب المدنية ، وكنت من اسرة وافرة الغنى اثرت من التجارة ، تضرب في مناكب الارض ، لتمجيد فينيقيا ، ولما استوى عودي ، تفتح قلبي على حب شاب رائع الجمال وعقد الهوى نفسينا حتى استحلنا الى روح واحدة . ما اجمله ! ما ارق شمائله . كم كان يتقد اخلاصاً ويشرق محبة لي ، وطفقنا نعد الاهبة ، لبناء بيت جميل نجعله وكراً لغرامنا ولحياتنا المستقبلة ، ولم ندر ما تخبىء لنا الايام المكفهرة وترامت الضجة في كل مكان تتردد على شواطئنا فتذعر لها ، ولكنها لا تتخاذل ولا تستكين ، فان تحوتمس ملك مصر العظيم ، قد بتر اجزاء سوريا وافتتحها عنوة ، وها هو يعد العدة لاكتساح شواطئنا ، وتشاور شباب فينيقيا في هذا الامر ، واعتزموا المقاومة حتى النهاية . ايخضعون لتحوتمس ؟ ام يقاومون حتى الموت وآثروا الفكرة الاخيرة ، على دفع فينيقيا بالعار . وكان حبيبي ، اشد الناس حماسة وجبروتاً فاذا ما زرف اليّ في المساء يحدثني بلهجة تصبي الحواس ، عن واجب الدفاع عن انترادوس وارواد ، كيلا تلوث آلهتنا ولتبقى عشتاروت بعيدة عن كل دنس ، فكنت اشجعه وان كنت اشعر بخطر محدق ، وسيحرمني طلعته السنية ، واكبرت شهامته وشجعته بكل حواسي ، وبعد ان تنكشف الغمة عن انترادوس ، ويعود الفاتح المغتصب القهقرى ، سنحتفل في المعبد بزواجنا .

وبعد مدة هلّ تحوتمس بجيوشه الجرارة وعدده الزاخرة وهو اشد ما يكون ظمأ لبلع ارواد وانترادوس لقمة هينة لينة . واكتسح انترادوس بعد مقاومة صاعقة ، سالت فيها الدماء مدراراً واخذ المصريون قمحنا الذي كان يملأ انترادوس ، وعبأوا ستة آلاف جرة من خمورنا الشهية ولكننا لم نيأس ولجأنا الى جزيرة ارواد بعد ان حطمنا الجسر العتيد الذي اقمناه ليصل بين المدينتين البحرية والبرية ، وشدد تحوتمس الحصار علينا في ارواد وراح يذيقنا صنوف العذاب ويتفنن في ضربنا وازعاجنا ، وكان حبيبي يسير في مقدمة الجيش المنافح عن ارواد ، الصامد للعادي الدخيل ، وكلما رأى تخاذلا او برحاً من كد الحصار نفخ في الفينيقيين من روحه الجبارة ما يوقد عزيمتهم ويجدد

قواهم ، حتى استعذبوا الشقاء ونعموا به كحياة راضية تغسلهم من الوضر . وترددت اغانيه الماتعة تتجاوب بها صخور فينيقيا ، مشجعة الفينيقيين الكماة الذادة حتى لا يلينوا للعدو المقتحم . وشعر المصريون بجبروت الفينيقيين وصرامة دفاعهم عن جزيرتهم ، فدب الوهن في عروقهم ، ولكن ملكهم تحوتمس زأر وزفر وصرخ : أأفتح الدنيا واسود العالم بجيشي وتقف بوجهي شرذمة من الفينيقيين يعتصمون دوني في جزيرتهم . سأهدم ارواد وسأدقها . وتحمس جيشه الجرار ، فشدد الحصار ورمانا بالوان العذاب وصوت حبيبي القائد يهدر مهيباً بالفينيقيين للصمود امام العدو الغازي . فعشتروت تطاب اليهم بالحاح صد عادية العدو لانه لم يبق لها مكاناً في فينيقيا بريئاً من دنس الفاتح الا ارواد .. عشتروت ستباركنا وستمنحنا الحب الدائم والمجد المكين .

وظل الحصار ستة اشهر ، وتحوتمس يتحرق غيظاً ولما انتصر علينا ، بعد هذه المدة الطويلة ، ثارت موجدته ، وهدم جزءاً كبيراً من ارواد ، واوقع بنا مقتلة عظيمة ، وكان حبيبي ، واأسفاه من الذين قتلوا ..ولما ترامى الي الخبر ، صعقت ، وعرتني لوثة ، وقنعني شحوب وهزال وعكفت علي اشجان ، وطفت في الاماكن المخربة اندبها ، واذرف عليها عبرات حرى ، وانادي حبيبي في كل مكان ، ادال الموجة وأسألها الرحمة ، امرغ وجهي على الصخور الناتئة ، اسائلها عن حبيبي ، اجثو في احضان الليل اطلب منه ان يرق لحالي ويرسل لي حبيبي ، وفي كل مكان كنت انشده ولا اجده ، ولكن صورته ظلت منطبعة في نفسي ، مترجرجة في ذهني واحببته اكثر من قبل اكبرت فيه تضحيته وفروسيته واغانيه ، غنيت اشعاره ، بصوت طعينة ، وغناء يلفه الجزع وينفجر منه الالم . اراه في كل شيء ، في شدو العصفور ، وغنج السمك ، وفي السماء ، سادراً بين النجوم ينيرها فاين ما اتجهت تبرق امامي صورة حبيبي وامتنعت عن الطعام حتى ضويت بنيتي ، ورغبت في الموت ، ليعجل اوبتي الى حبيبي ، شاعر فينيقيا وسيد شبابها ، وبطلها الحلاحل المقدام .

وتقدم شباب انترادوس يخطبون ودي ، ورأيتهم لطخات سوداء ، في جبين فينيقيا الذي زهر زهورة رائعة بحبيبي ، وتلمست العزاء في كل مكان ولكنه استعصى علي ، فحبيبي يحتلني ويسكن في نفسي ، واصبحت ترنيمة لعذارى فينيقيا في اخلاصي وحبي وسرى اسمي ، مشفوعاً بالتجلة والاكبار وهمست الشفاه : صالونا نغمة فاجعة ، تعزف على رمس حبيبها : صالونا ، روح حائرة ترقص على جدث حبيبها : صالونا ، معذبة ، مدقعة ، تنوح على حبيبها : صالونا ، رمز حي للاخلاص والحب والهيام . وهكذا تنهال علي النعوت في كل مكان ، وانا في اتون من الاحزان ، لا يقر لي قرار ، ولا تنشف لي دمعة ولا تجف لوعة ، وفي ليل عبوس ، مطلخم الظلمة ، ولولت الريح ، واندفع المطر ثائراً مزمجراً ، خرجت ، أفتش عن حبيبي ، على الشاطىء وبللني المطر وزعقت بوجهي العاصفة تنذرني فهزأت بها ، أبعد فقد حبيبي أخشى النوائب النازلة؟ ووصلت الى الشاطىء بعد ان اصبحت مغمورة بالماء ، ولم اشعر به فخسارة حبيبي افقدتني كل وعي . وترنحت في سيري ، على الشاطىء انادي من تهواه نفسي وانشد اغاني باكية ، اندفعت من اعماقي وبرح بي التعب ، فجلست على صخرة ممردة ، ارسل اقدامي في الموج المصطخب وفجأة كفت السماء عن البكاء وانقطع سيل المطر وهدأت العاصفة بعض الشيء وخيل الي اني ارتع في جنة حادرة مع حبيبي اغازله واعاطيه كؤوس الهوى . وفتحت ذراعي كأني استقبله وهفت قبلتي في الهواء يقهقه ساخراً منها . وترامى الي صوت ناعم فيه حنة لاعجة فارهفت اذني وفتحت روحي وتتجلى الانغام شهية الوقع وتقرع سمعي فخلتها روح حبيبي تناجيني وتستجيب ندائي بعد عزوفها عني . وتترجم الانغام اغنية حلوة تنشدها عذارى فينيقيا في هيكل عشتروت ام الوجود . وتلذذت اعصابي وافرخ روعي وغرقت في خدر لذ باسم وسمعت اسمي يتردد فاصغيت وكدت اقع مغشياً علي . كان الصوت يقول : صالونا ايتهـا الفينيقية المرزأة ، صالونا الوامقة التي اذواها موت الحبيب وندت مني صرخة فاتكة في هذا الليل الاليل ..وتقترب الانغـام تزداد اشراقاً ووضوحاً فتصبب العرق من جبيني وجلًا والمت بي جنة وتدنو الانغام حتى تقع مباشرة في اذني عازفة بوله : صالونا ، ايتهـا العذراء ، الفينيقية ، لاتخشي شيئاً .. تجلدي .. ونفذي وصاتي انا الربة عشتروت ، ام الفصول وروح الاحياء ومبدعة الوجود ، صالونا ، انا آلهتك عشتروت حبيبة ادونيس ، لا تجزعي ، صالونا ، ياعبقة شاطىء فينيقيا كفكفي من غلوائك لقد نالني ما نالك من اسى وكنت مستطـارة اللب ، محزونة الضمير كاسفة البال لفقد حبيبي ادونيس الذي خضب دمه حاسده الذي كان يهواني ويريدني وانا اشد ما اكون عنه صدوفـاً ، واخيراً اتخذ شكل خنزير بري وقتله وملأ الارض بدمه الطليل الذكي ، صالونا اتئدي في احزانك الهادة !.

وافرك عيوني ملتاعة مرتاعة وتسري رعدة في مفاصلي واحدق بالافق البعيد فتنجاب الظلمة وتنسرح العتمة لتشيع في رهبة ولارى طيف عشتروت يرنو الى غراراً فغرقت وكادت نفسي تطير شعاعاً وضحكت عيناها الالهيتان فبددت ما ساورني من الخوف وقال طيف

الالهة : صالونا ان جمالك الرقراق اذوته الالام الدنفه وسحرك الفياض احرقته نار اللوعة الشادية فحبيبك مات لاجلي ليقصي عني آلهة مصر فهو يرتع في سعادة بين احضان الابدية وسيبعث حياً بشبابه وحيويته وبهائه وستراه الدنيا شعاعاً يضفر له المجد اكليله .. وعليك ياصالونا ان تصبحي سراجاً كاهنة في معبدي لتطهر نفسك وتسمو روحك في عوالم الصحو والتوقد فامنحك البقاء الدائم ... لتلتقي بحبيبك مرة ثانية على الارض تتجاذبا الحب وتتناها اللذائذ .»

ودفت الربة عشتروت بجناحيها الندييتين فحلقت فوق الغيوم تتبعها سحائب من نور وتحفها مواكب آلهة فينيقيا .. ولما اصبحت تماثلت لي الليلة الغابرة بجلوة عشتروت فهرعت الى معبدها اتحنث واحرق اجزاء نفسي امام تماثيلها أرتل لها الاغاريد واسبح على متن عبادتها متحنثة ليلي ونهاري ، اصلي بخشوع صامتة اغلغل روحي في روحها وفتحت الربة مغاليق نفسي فوعت الاسرار ورأت المستقبل واجترحت العجائب ووجدت تسلية وتلهية عما يضطرم في قلبي من حب عنيف لحبيبي ولكن صورته كانت منطبعة في رأسي افزع اليه كلما تضاغيت حرقة فيفي. علي الراحة ويسكب البلسم .. وانتظرت صابرة هادئة وعد الربة عشتروت لتنقذني من وساوسي وتطيرني الى حيث حبيبي ينعم محلقاً في اجواز الابدية ... تائهاً في البقاء السرمد ...

وتجلت لي الربة عشتروت ومستني مساً رفيقاً بيدها الوامضة وقالت بصوتها الالهي : صالونا ، تهيأي ، ستكوني روحاً رفرافة هائمة على هذه الشطآن المباركة المضمخة بانفاسي ، ستراعيها ، وستقيمي عبادتي في كل عطفة من عطفات فينيقيا فسيأتي وقت يجحدني فيه ابناء فينيقيا ويكفروا بعبادتي وستظلين خالدة في مطاوي الزمن لن يداعبك الفناء وستضعفين الانحلال وستكون لك في كل قرن خرجة تجوبين بها شواطىء انترادوس تفتشين عن حبيبك الذي سيولد مرة ثانية بلحمه ودمه في انترادوس . وعندها تستقرين معه في رقدة ربانية موشعة بالحب . واصبحت روحاً هائمة على شواطىء فينيقيا ارى كل شيء ولا يراني احد ، واخرج الى الشاطىء كل قرن في مثل هذه الساعة الذي اتحرق شوقاً لمرآه . لقد مرت علي اجيال مثقلة بالاعوام ولكن ما قيمتها بالنسبة للابد ، الذي لا يحده حد ولا يحصره امد ؟ سأتريث ، وسأعبد ربتي عشتروت ، حتى ارى حبيبي فتقر روحي في وداعتها » . وهفت صالونا على الرمال السمراء باقدامها المنمنمة وهي تسكب في نظراتها النفاذة .. وابتلعها اليم الهدار وغاضت سحابة النور ، وهيمنت الظلمة واندفع مطر خفيف فقمت والانفعالات تتلاعب بي والهواجس تهجس برأسي وصالونا لا تزال عالقة بي مسيطرة على اعصابي اتلذذ بجمالها الغريب وحديثها الطافح .

وخفق قلبي يضرب بشدة ، مولهاً بين جوانحي اللاهفة .. وصرت عاشقاً لصالونا ، يستبد بي حنين اليها .. وسكنت في نفسي ورحت اذرع الشواطىء في الليالي عساي اتقرها واستمتع بندواتها وعبثاً ابحث عنها ، ذهبت بعد ان سيطرت على حواسي وسلبتني ارادتي ونفذت الى عقلي وبدا علي شحوب ، وهزل جسمي واصبحت لا استطيع الانسلاخ عنها فهي تتمثل لي في كل شيء . وكثيراً ما اراها تضحك بين الغيوم فأثبت نظراتي ثم لا أنشب ان اراها تطير فأذب بحب اعنف من الاول .

يا الهي ما اقوى الحب الذي ملكني ، ولوحظ علي هزالي وغيبوبتي وقال بعضهم : ان العشق يذبح قواه ، وعالوا وحالوا ، أأستطيع ان اقول لهم من احب ؟ وهل خليق بي ان احب غير صالونا ؟

وعشت سنة في طرطوس مع صالونا اهيم بها وعبدت لاجلها عشتروت ، ففي كل صباح اتمم صلاة خافتة اتريق على صالوناحبها ..فسعادتي ان تسعد صالونا وتهدأ روحها في لقاءة مع حبيبها ، ولتعجل الاجيال بولادته ولاجل صالونا ، احببت شواطىء فينيقيا وغمغة عين وانتباهتها على سواحلها اللازوردية ، تبز كل ما في العالم من جليل ورائع . واستنمت لحياتي متلذذاً ..

وكنت اذا سمعت بالبعث الفينيقي ، تشتد موجدتي على دعاته ، واحنق على مروجي هذه الفكرة ، ويا لدهشتي عندما رأيت ذاتي تتجرد ، وتنفض اردينها المتوارثة المتأصلة لترتدي الثوب الفينيقي وبمدة وجيزة كتبت روايتي الكبرى « شاطىء فينيقيا » وهي تربو على الاربعماية صفحة ، لتمجيد فينيقيا ، وبعث الحضارة الفينيقية الى الوجود ، ولست ادري كيف كتبتها وكل ما اعلمه ان رنوات صالونا كانت المرشدة لي في عملي ، فلاجلها عبدت عشتاروت وكتبت « شاطىء فينيقيا » . يا الهي لقد مرت على هذه الحادثة اكثر من ثلاث سنوات ، ولكني لا ازال محباً مستهاماً بصالونا .. وتطوف بخاطري في كل لحظة ، حتى استحالت الى جزء من كياني .. وسأصبر .. وسأصبر عساها ترق لي ...

محمد حاج حسين — اللاذقية

على ارباض الجاهلية

بقلم زكي المحاسني
استاذ العربية في تجهيز دمشق

جوزي على مهلٍ لاشيء من ظليّ
لا صوتَ اسمعه في نـازح الرملِ
حب يهيجني منهـا بلا عذل
البيد مترلهـا في غابر الاهل
قل لي اذا غنى طير لها قل لي
يا ناقتي سيري

أهوى مباسمهـا ومساحب الكحل
يا عيش كيف لنا بالرحل والوصل
يـا جـاهليتهـا ما رحت بالجهل
بل كنت في زمن بالمجـد منهـلّ
اطلعت أشعـارا ككوا كب الليل
سيري على الرمل

يا ناقتي سيري !



الى مطامن البيداء من دارات عبس وعبد شمس فان كل المامة بك ، تفهمني معنى من معاني اشعار العرب في الجاهلية ۰ وكل زورة من زوراتك تعلمني الادب الجاهلي في مظانه ۰ فلئن كانت الصحراء ديار جدب ووادياً غير ذي زرع ما انبتت الا الشيح والقيصوم ولانفحت الا بالعرار الذي ودعه الشاعر في عشية من عشايا نجد ، فان رملها المرمض ونسيمها اللافح وماءها المندور قد اطلع ازاهير لايمحوها الزمان ، فوّاحة نفاحة ملأت بالعطر مدى الدهر ، نبتت في رياض الشعر والسجع وحلو الحديث والاخبار وكان اهلها امرأ القيس وطرفة ونابغة ذبيان واكثم ورفاقهم ۰۰۰

يعد العصر الجاهلي اقدم عصور الادب العربي ۰ ولقد بعدت الشقة بينه وبين عصر التأليف الذي تفتحت ازاهيره في حواضر العرب

منذ المائة الثانية للهجرة . فأقبل الجامعون للاخبار وجلة الرواة على البادية فجعلوها مصدراً للغة العرب وأدبهم وتاريخهم . فلماوا اكثرهذا الادب من افواه العرب الخاص وجعلوه اسفاراً وطافوا به امصاراً وعقدوا له حلقات المساجد الجامعة وبيوت العلم ولم يفردوه عن الفقه والتفسير وحوادث التاريخ ، الا طائفة منهم طبعوا على النظام العلمي وكانت لهم طرائق في البحث تقربهم من الوحدة في الموضوع كأبي الفرج الاصبهاني في كتابه الاغاني . ونحن ابناء العصر الحديث عندما نقبل على دراسة العصر الجاهلي نرى القرون قد حالت بيننا وبينه بغشاوات فليس بين ايدينا من تراث الجدود كتب تنقع الصدى في بحثها عن ادب ذلك العصر البعيد بحثاً علمياً كالذي نراه في دراسة علماء الغرب لآدابهم ولغاتهم . وسبب ذلك ان العرب حين نشت لغتهم وبان لهم أدب في الجاهلية لم يكن فيهم من يقيد تلك اللغة ويدون ذيالك الادب . وكان سوادهم على جهل بالقراءة والكتابة الا نفراً من سادات العرب واقوامهم وقسوس النصارى واحبار اليهود كانوا نزراً يسيراً في الحجاز او اليمن . وهم بالرغم من ذلك قد حذقوا المعرفة بالنجوم من غير منظار . وعرفوا القياس بالقيافة والفراسة ، بدون « علم الانسان » . وانا عذير الادب الجاهلي ان وصل الينا منه القليل فان امته ابدعته ابداعاً . ولم تتبع فيه او تتقيل غيرهـا من الامم التي كانت تعاصرها . وهي لو قلدت او اقتدت لكان لادبنا اليوم شأن خطير قد يبذ به آداب الاقوام جميعاً . فلقد كانت هـذه الرقعة المترامية باطرافها التي عاش عليها الجاهليون ونسميها جزيرة العرب ، في شبه معتزل عن الامم المجاورة ، فكان اعتزالها هذا سبباً في ابتعادها عن الاخذ بنماذج الثقافات الذي يكون بين الشعوب، ويلقح به بعضها من بعض . فتتكون الالوان الادبية ، والوجهات الفكرية . كالذي كان من امتزاج اليونان بالفرس . وأرى سبب هذا ان ارض العرب لم تكن مطمعاً للامتين اللتين كانتا تجاورانها وهما الفرس والروم . ولو انها غزتا ارض الجزيرة ونشبت بينها وبين العرب حروب منظمة او فتوح لرأينا الثقافة الرومية والفارسية قد بلغت اعماق البـلاد العربية قبل الاسلام ولكان لنا ادب جاهلي منظم وضاح المعالم بيّن الصور فيه شعر قصصي ومنه ادب تمثيلي . لم يترك العرب المعتزلون آثاراً حجرية ولا كتباً جاهلية . وذهبوا غير تاركين الا قصيداً طوالا حشدوا فيها بعضاً من خطرات نفوسهم وخلجات قلوبهم وثمرات عقولهم وكان الشعر عندهم ديوانهم الاعظم . كانوا يحتفون ايما احتفاء بالشاعر ويعلقون غرره على جدران الكعبة مكتوبة بماء الذهب كانوا يخشون بأس الشاعر ويعتصمون بكلامه . به كانوا يدرؤون عنهم عوادي الخصوم وبنظيمه كانوا يجلبون لقبيلهم الرفعة والمجد ، ولكم طاب للرواة ان يقصوا علينا نبأ مدح الحطيئة لبني انف الناقة وكيف رفع من شأنهم وكانوا خاملين ، واذا بلغوا الى الاعشى قصوا خبره مع المحلق وبناته وهدية المحلق التي لحقته بها حتى منازل قومه وقول الشاعر فيه: والله لئن اعتلج الخمر والسنام في جوفي لأقولن فيه شعراً ما قالته العرب : وأرى الشعر الجاهلي على قلته وقلة شعرائه يكفي ان يرينا صورة ولو فاقعة عن قوم أقدمين اظلتهم السماء فوق ارض جرداء ما عليها من ماء الا آبار نزرة عند ظلال النخيل . اقرأ شعرهم فأرى فيه عيشهم واحس باحزانهم واسمع دبيب آمالهم . انه يصور لي ما اشتجر بينهم من خصام ووئام وما يعتريهم في البعد والقرب وما يحف بهم من خير او شر . وان اكن أرى هذا من خلال سجون قاتمة الا انها تشف عما تحتها فتبين . لكن غير راوية باحثاً ولا ناقعة غليلاً . وما ابتغي من الكمال في ادب قوم ما عرفوا الا الوبر خياماً وكساء ولا سكنوا الا المدر بناء لقد امتلأت قلوبهم في الحرب بالخيل والرمح والسيف . أنست نفوسهم في السلم الى البعير والشاة وطافت عيونهم بعنق المرأة وجيدها وميزهم من امم الدنيا الكرم والمروءة. اني اجد كل هذا في شعرهم الجاهلي فلقد وصفوا فيه السهل الاملس ، والوادي السحيق ، والسحابة الوطفاء والسماء المصحية الصافية . وقفوا بآثار الاحباب بعد رحيلهم فذكروا النؤي والحجارة والدمن والاطلال . صوروا الحرب واهوالها وطعن القناة وضرب الحسام ونحر النوق والشاء للاضياف في الليالي السود ذوات الهرير ، وانشدوا الهوى والشباب مزامير ولحوناً عذبة سابية وخلدوا ملاحة المرأة باشباهه ونظائره . من كان يحفل بالمهى ، ويعبأ بالغزالة ، لولم يشبه شعراء الجاهلية عيون النساء بعيون الظباء، ونفار الجآذر بنفار الرعابيب ؟ وطال بهم الحدب على الضيف وبذل المعروف له وجرت دماؤهم جداول في سبيل الشرف والوفاء . حسب شعر الجاهلية ان يحمل هذه الخلجات ليكون غير مقصر في المضمار .. هذا ادب الجاهلية وقد وقفت على ارباض فوق الرمال المحرقة فوردته راشفاً احس في روحي ارواحهم العطاش . وتتراءى لي على صفحاته الملتمعة صورهم وهم متلفعون بالعباءات ، يجررون اردانهم مضمّخة بالطيوب ، تحتهم افراسهم السلاهب ، وبايديهم عوامل الرماح ، والمهندات البيض . وبدت لي نساؤهم على ابواب الخيام، وتحت اروقة المضارب ، سوداوات العيون والشعور يتلفتن بجياد الظباء. وسمعت اصواتهم من صميم الماضي ناطقة باللغة العربية الحلوة صافية الكلم واضحة العبارة اخاذة الاسلوب .

زكي المحاسني - دمشق

مناجاة

★

لنقولا بسترس

قالتْ ، لنا الزورقُ
والأرحبُ الازرقُ
قلتُ ، لتياره
جنونه المطبقُ
قالتْ ، يعوم الهوى
بنا ، فلا نغرقُ

◆

وقالت الليل ، مثل
اليمّ ، أو أعمقُ
قلت ، لندمانه
في اليمّ ، ما يرهقُ
قالت ، لنا عندهم
على الوفا موثقُ

◆

ومرّ من عمرنا
شبابنا الريقُ
ما ضمنا فيه ، لا
ليلٌ ولا زورقُ

عدو المرأة اللدود

بقلم امين الغريب

ربما كان أوقح سؤال يمكن التقدم به من سيدة على الاطلاق : كم عمرك يا سيدة ؟ فالنساء في كل العالم يعددنه اهانة مجانية ، واعتداء لا مسوغ له . وقد صار الرجال المتمدنون يعرفون ذلك فيتجنبونه . بل يحاذرون امام السيدات محض البحث في الاعمار . لان العمر على ما يظهر الد عدو لهن . ينكرن حقيقته، وينكرن على الناس حق ذكره امامهن . ولماذا ؟ لان رأس مال المرأة الاساسي في الحياة جمالها . والعمر في رأيها يفقدها اياه . فيزيل اللمعان من عينيها ، ويمحو النضارة والاحمرار من وجنتيها . ويحفر الاخاديد والاثلام في جبينها ويديها . ولكن لماذا تدع الفتاة الجميلة النضيرة الوجه الناعمة الملمس للعمر سبيلاً كي يدك اركان جمالها، ويحدث هذا التخريب في المستودع الرئيسي لرأس مالها ؟ سئل مرة بعض الرجال الخبيرين في الموضوع : ما هي السن التي تبلغ المرأة فيها اوج الجمال ؟. ولو كان اولئك الرجال من صنف الشبان الذين يطلبون الزواج اليوم لأجابوا جميعاً ان اجمل ما تكون المرأة في سن ١٥ لان شبان اليوم لا يبحثون في الجمال الحقيقي الجذاب بل يريدون فتاة كالتي ارادها الانجيل المقدس اذ قال : «اتخذله عروساً يلهو بها» . اما الذين نعنيهم الان فاناس عركهم الدهر وعركوه واثبتوا في مواقف عديدة حصافة عقولهم وحكمتهم ويكفي ان يكون بينهم بلزاك الفيلسوف الفرنسي الذي قال : ان اشد سني المرأة خطراً على القلوب هي الخامسة والثلاثون . وقال غيرهم انها الثلاثون وقال آخرون بل هي الاربعون . وعلل بعضهم ذلك بقوله ان المرأة قبل الثلاثين تكون اشد اغتراراً بنفسها من ان تطاق وتحتمل . وبعد الاربعين تصير اماً لزوجها اكثر من رفيقة . وعلى ذلك يمكننا القول بان الجمال لكي يستوفي شروطه لا يكفي ان يكون تاماً في السيدة نفسها بل يجب ان يؤثر في الناظرين اليها . فرب امرأة متناهية في الجمال يشرق وجهها كالبدر المنير . وهذا الوجه مع ذلك لا يقول شيئاً للناظرين اليه ، بل ان في بعض الوجوه البارعة في الحسن شيئاً يصدم العين ويبعد القلب ويرمي بالتضايق والانزعاج . وقد لحظنا هذه الامور غالباً في الصبايا المتراوحات بين سن ١٥ و ٢٠ و ٢٥ . فالفتاة في هذا العهد لا تكترث لآراء الناس فيها ، ولا تقبل ان تكون محاسنها الثابتة لديها موضوع بحث واستفهام فهي جميلة جداً وكفى . ان لم يصرح بذلك لسانها نمت عليه حركاتها، وسكناتها، وان لم يفصح به جنانها، دلت عليه نظراتها، ونبراتها . والانسان في اعماق فكره حر ولو تظاهر بالعبودية . قد يخضع لسانه ويخنع ويدب على الركبتين ، اما رأيه الداخلي فلا يعنو ولا يلتوي ، بل يميل دائماً الى الاستغناء عن كل من يستغني عنه . فالتي لا تكترث لحكمه لا يكترث لها ولا يجيء حكمه في مصلحتها . فاذا اتت عليها السنون الثلاثون بدأت حرارة الكهرباء في عروقها تبرد والافكار الفجة في دماغها تنضج وتختمر . وعاودها من السكينة والهدوء ما كان ينقصها قبلا لتصلح للامتحان . واشرب وجهها تلك النضارة الزاهية عنوان الشبع والارتواء ، كما تنضر اوراق النبات وتنتعش بعد ان تجتاحها العاصفة . وفي الخامسة والثلاثين يشتد تأثيرها في من يدانيها لانها تصير ادرى بالاساليب الحربية واخبر باستعمال الاسلحة واتقائها . ولا يزال فيها من فضلات الغرور السابق وبقاياه المصقولة ما يدفعها الى الهجوم ورمي الشباك . وهنا موضع الخطر . فاذا عدتها الحجة الاربعون تم نضجها واكتملت معارفها وادركت ان الدنيا قادرة على الاستغناء عنها . وهذا سر اسرار الجمال . فهي بعد قوية الجسم مفتولة الساعدين لكنها صارت اعلم بالحقائق . لا تغتر بابتسامة ، ولا تسكرها كلمة ثناء ، ولا يبهرها التملق الكاذب ، ولا ترضى بغير الحقيقة . وانما الحقيقة هي الجمال كما قال بوالو الشاعر الفرنسي المعروف . اجل ان الجمال هبة من الله كما يقال . لكن الله كريم ، لم يحرم خليقة من خلائقه بعض الجمال ، ولا ضن على مرحلة من مراحل هذا العمر بجمال خاص بها تزهو به على سواها . فالعجوز البارعة تشبه قصراً منيفاً ما ذهبت عنه روعة الجديد حتى تحلى بفخامة القديم . كلنا نتذكر المرحومة « ساره برنار » الممثلة الشهيرة التي نشرت اسم فرنسا عالياً في اربعة اقطار الارض . رأيتها بعيني في السبعين من عمرها تمثل بشكل مدهش دور ابن نبوليون في سن الثانية عشرة تركض وتقفز على ركبتي جد ذلك الامير في القصر الامبراطوري كالولد الممتلىء قوة وحرارة وتقوم في بعض المشاهد بحركات يعجز الفتيان المراهقون عن تقليدها .

وفي الولايات المتحدة مدينة تدعى ملووكي في ولاية وسكنسن يضرب المثل هناك في جمال نسائها ، اقامت معرضاً للجمال الباهر سنة

١٩٢٥ تبارت فيه الغيد الحسان واشترك في الاقتراع الخطي ملايين من الناخبين فكان الفوز النهائي للسيدة « ماري لولولي » اذ نالت مليونا وتسعمائة الف و ٢٥٠ صوتاً اي ما يزيد مائة الف صوت عن اقرب مزاحمة لها . او تدرون كم كان عمرها يومئذ؟—تسعاً وستين سنة . وقد تقبلت الاكرام الذى غمرها به الشعب في حفلة تتويجها بالزهر بغاية الهدؤ والسكينة فلم يمتلىء رأسها طيشاً وغروراً . ولا حسبت لعرش الجمال قيمة غير قيمته الاسمية . سنة ١٩٢٩ ماتت السيدة للي لنغتراي التي خلبت عقول الناس في صباها ولم تكن، وهي في السادسة والسبعين تفرق عنها في الثلاثين . والسيدة مارغو اسكويث قرينة رئيس الوزارة البريطاني الشهير المعروفة في عالم الاقلام بلغت من العمر عتياً وظات تطاول السنين بقدها المياس وقوامها الاهيف حتى قيل ان الذي لا يعرفها في انكلترا يشبه الفرنسي الذي لا يعرف برج ايفل ، واللبناني الذي لم يسمع بارز ابنان . ان من يرى غابة الارز الباسقة في لبنان ، وجذوعها الهائلة قد تحجرت كالصخور لا يقول انها شجرات شايخة هرمة . بل ينظر الى الاخضرار الابدي في رؤوسها الشامخة في الجو ويقول انها شجرات جميلة تدعونا نضارة غصونها رغم عشرات القرون الى الامعان في حبها واحترامها . لكننا لا نبالي بالشجيرات الصغيرة على ما في جذوعها من طراوة ، وفي غصونها من خضرة .

وهكذا الحال مع البشر . فمن يكبر ويحتفظ بقواه العقلية والجسدية ينال من احترامنا ومحبتنا اكبر نصيب وفي بلادنا من هي المرأة التي تعد نفسها صبية بعد الخمسين؟—اجل ان الخمسين سن لا تعترف ببلوغها سيدة على الاطلاق . لا لعمري . لكنهن يبلغنها رغم انوفهن الجميلة . وغالباً يحسبن حبل الحياة الجوهري قد تصرم . مع ان الممثلة الفرنسية « مستنجيت » التي امنت جمال ساقيها عند احدى الشركات بخمسة ملايين فرنك ، وكاتي شروت التي خلبت عقول الناس لما اختارتها الامبراطورة اليصابات النمسوية لتقرأ للامبراطور فرنسوى جوزيف ، والسيدة جلزر الروسية والسيدة اوليفر هربمان الاميركية ، يعلن بكل صراحة قائلات : « ان محاسني الحقيقية ولذتي في الحياة ابتدأت بعد سن الخمسين » . والدوقة رتلند الانكليزية جدة اربعة عشر حفيداً كانت تقول انهم هم الذين حالوا بينها وبين الهرم . فاحتفظت بعد سن الخامسة والسبعين بجمال فضلها الناس فيه على ابنتها التي كانت آية الجمال الساحر في رواية « الاعجوبة » على مسارح نيويورك . وهيلانه الطروادية شبيهة ڤينوس الاهة الجمال، على الارض ، كانت قد جاوزت سن الشباب لما خطفها ابن ملك طروادة وحشد اليونان الف سفينة لاسترجاعها بعد حرب طالت عشر سنوات واهلكت المغلوبين والغالبين .

ونينون دلنكلو الفرنسية حام الشبان حولها وهي عجوز كما حاموا حولها وهي فتاة . حتى ان احدهم وهو في سن الحادية والعشرين انتحر لرفضها الاقتران به وهي في الثانية والسبعين . وجميع هؤلاء الجميلات لا يعتقدن ان التبرج يزيل آثار الهرم . بل ترى السيدة هربمان خصوصاً ان الصباغ الاحمر لا يدل على الشباب . بل على عكسه . وان النوم الباكر العميق سبع ليال متواصلة يقوم مقامه تماماً .

فادرسي ياسيدة هذه الامور . واعلمي ان ما يطرأ على الوجه من تجعد وانكماش لا ينتج من العمر بل عن عوامل كامنة في النفس . واسباب هذا التجعد في وجهك، ليست في سنك بل في طباعك . ان بعضها قد تأتى عليك من تعب العيون او الافراط في الشغل . او الهزال بعد السمن . كما ان للحالات العقلية المخصوصة علاقة كبيرة بتجعد الوجه وتكمش الجلد . منها الحزن والغضب، ومنها البغض والحقد والحسد ، ومنها اللؤم وحب الذات والغيرة الشاعلة المحرقة ، ومنها التكتم والاحتيال والبخل والطمع . هذه الصفات النفسية تنقش مع الايام آثارها العميقة في وجوه اصحابها فيستطيع المتأملون قراءتها بسهولة . فالتجعد في الوجه كالبارومتر للاخلاق . ينبىء بها ويحفرها كالنقش في الحجر . على اننا لا نرضى ان يخلو وجهنا تماماً من كل اثر للتجعد . لان الخبيرين في هذا الفن الذين يفسرون لنا معاني التجعد المختلفة في الوجه يؤكدون ان الوجه المسطح الاملس قد يخفي وراءه دماغاً مسطحاً املس ، ولبعض التجعد معان سامية تجعله مرغوباً فيه غير مستنكر . مثال ذلك ان ميلاً واحداً بين الحاجبين يدل على شخص حر ينتقد نفسه اكثر من الآخرين . وينم على عمق التفكير مع محبة للحق والانصاف والنظام . كما ان الميلين الافقيين فوق الحاجبين مع نتوء بارز ما بينهما يدلان على اللطافة وحب الخير . ثم ان الاميال النحيلة عند زاوية العين قرب الصدغ تشير الى ابتهاج القلب والطمأنينة . فعلى جعدة الوجه اذن ان تنتبه الى هذه الامور وتدرسها درس الراغب في ازالة القبيح منها والاحتفاظ بالحسن . ولعمري ان الفم المقطب الذي تضيق به حيلة اطباء الجمال يتغير حالا بمحض التغيير في بعض الطباع النفسية . وهكذا التجعد . اما العمر فلا يؤثر في جمال الوجه واعتدال القوام ، بدليل ان الواقفات على اسرار الحسن الطبيعي الماشيات على قواعد الصحة ظللن حاملات صولجان الحكم على القلوب الى سن متأخرة جداً . فكوني دائماً بشوشة . واذا دب الهم في صدرك ، فادفعيه وراء ظهرك . تبقي جميلة طول عمرك .

امين الغريب

الادب التركي الحديث

نسيب فاضل

شاعر شاب استأثر بذوق الكثيرين منذ جرى قلمه في شعر، لما تفرّد به من جدّة وابداع في الاساوب . ورمزية الفرنسيين تخطر في كل بيت من ابياته .

أروع مجموعاته الشعرية تلك التي أسماها « بلاط الشوارع » . انقل منها هذه المقتطفات :

« بلاط الشوارع »

« انا في الشارع في وسط شارع موحش ،
« أدلج ، أدلج ولا التفت خلفي .
« وعلى مطلّ دربي الذي يعانق العتمة ،
« ألمح طيفاً ، كأنه بانتظاري .
« السماء السوداء مغطاة بغيوم برش ،
« والصواعق تهدد مداخن البيوت .
« ان روحين تسهران في حضن هذا الليل :
« انا والبلاطات الممددات .
« خوفٌ يترل على نفسي قطرة قطرة .
« يتراءى لي مارد ، ينتظرني في منعطف كل شارع .
« والبيوت ، كالعميان الفارغة محاجرهم .
« تحدجني بزجاج نوافذها الأسود .
« والبلاطات ، أمهات من يتألمون ،
« البلاطات ، هي المخلوقات التي تشعر بآلامي وتتقبله بحنان
« ورنتها التي تسمع في السكون ،
« هي اللغة التي تغمر كل ذاتي .
« لم أكن لأسلم روحي فوق صدرٍ دافىء ،
« أنا الولد الذي ترغب فيه هذه البلاطات .
« أودّ ألاّ يطلّ الفجر على هذا الشارع .
« وألاّ تنتهي رحلتي عبر هذه الدرب المظلمة .
« أريد ان أمشي وان تمشي الدرب معي ،
« وان تنهمر المصابيح عن الجانبين كالسيل .
« أريد ان تسمع الكلاب وقع اقدامي ،
« وأن تنتصب بعيداً في الظلام اقواس الحجر .
« لا أريد ان أظهر للنور ولا ان تراني عين ،
« أترك لكم النهار فاتركوا لي الظلمات ،
« أريد ان ألتفّ بها التفافي بغطاء بليل
« غطوني ، غطوني بالظلمات البليلة .
« أريد ان ينطرح جسدي بطوله على الحجارة
« وان تلطف برودة هذه الحجارة نار جبيني
« وان أغرق في سبات عجيب كسبات الشوارع
« فينساب الموت كالخدر الى جسدي وانا فوق البلاطات رفيقاتي .

وفي قصيدة « نرهم »

« انت الظبية الشاردة في الجبال
« وانا الغول الذي يطاردك .
« يمكنك ، اذا شئت ، ان تستغيثي بالعالم كله .
« غير انه لن يكون سوى انت وانا على الارض .
« والدروب التي ستسلكينها ستملؤك رعدة .
« ان وطء خطواتي سيتبعك ،
« وأذرعُ أشباحٍ تطوّق جسدك .
« في ليالي الشتاء ، ضمن غرفتك الموحشة
« فكّري فيّ عندما تجتاحك قشعريرة خفية
« وقولي لنفسك : « هذا هو الذي يهزّ زجاج النافذة وليس الريح المزمجر ، هذا هو » .
« ان السمّ الذي ينفثه صدري في الهواء سيُذوي حياتك كما تذوي الوردة .
« اهربي ، ما شئت ، من مدينة الى مدينة
« أمّا مآبك فاليّ في اليوم الاخير .
« اذا كانت حياتك كنهمي ، أبدية
« فأني سأتحدى سر الموت ، وانتظر ،
« واذا انتزعك التراب من نهمي
« فسأكون بلاطة على قبرك ، وانتظر . . .

غنطوس الرامي

اشهر الكتاب

شيلي وبروونه مصدر الرمزية بفرنسا

نجم شيلي من بيت غني ونبل فادخله اهله الى مدرسة اتون للاشراف ، الا ان طبيعته الارستوقراطية وروحه الحساس ، بل المفرط في الاحساس، لم يتفقا وذلك الوسط المتعجرف فاعتزل رفاقه واخذ يلصق على جدران المدرسة اوراقاً ضمنها آراءه الفلسفية في الحياة فاستحق بذلك القاباً مختلفة منحه اياها رفاقه منها « شيلي المجنون » و « شيلي الكافر » .

ثم انتقل الى جامعة اوكسفورد فانصرف الى الدرس باجتهاد كبير ، وحاول ان يبث مبادئه في اساتذته ورفاقه ، فطرد من الجامعة ، وما عتم الامر ان طرد من البيت ايضاً فهام على نفسه في شوارع لندن ، واتفق ان اخذ بجمال امرأة مثقفة ثقافة عالية هي ماري كودوين فسافر معها الى فرنسا وسويسرا ، وهناك تعرف الى بيرون ، ثم الى ايطاليا .

وفي العام ١٨٢٠ انتقل الى بيزه فتعرف فيها الى فتاة اضطهدها اهلها هي اميليا فيفياني فأوحت اليه حباً صوفياً لم يشعر به شاعر منذ عهد دنتي ، وفي العام ١٨٢٢، فيما هو يتنزه في البحر انقلب به الزورق فغرق ، ولما وجدت جثته على الشاطئ، احرقت على الطريقة القديمة بحضر من بيرون .

وكان في الثلاثين من عمره .

اما اشهر مؤلفاته الشعرية فهي : الملكة ماب ، وهي قصيدة تزخر بالخيال وتعيد الى الذاكرة عهد الملكة اليصابات . والدستور وهي قصيدة صوفية . وخلاص برومثيه ، وهي درامة غنائية ترمز الى انقاذ العقل البشري وانتصار الرأفة الكونية . وابيبسيشدون وهي قصيدة في الحب الطاهر نظمها الشاعر تكريماً لروح اميليا فيفياني . قال احد المفكرين ان الشعر الانكليزي هو انقى روحانية من سواه ، وشبهه بالرؤى التي تتلون في احلام النائم . فهذا التعبير ينطبق على شعر شيلي ، الشاعر الذي لا يجارى على حد قول الانكليز .

عرف شيلي ان يلبس جميع المخلوقات الوفاً من الارواح المتبدلة، من النبتة الصغيرة ، الى الغيم ، الى الكواكب ، ومن هذه الالوف من الارواح تتكون روح عامة هي الله الذي هو جمال وحب . شيلي هو شاعر الحب ، والحب والد الجمال وملك العالم الذي سينعش يوماً الانسانية المتألمة .

وقصارى القول ان شاعرية هذا الشاعر العذب التي تسمو كثيراً على شاعرية بيرون من حيث الصياغة ليست فناً بمقدار ما هي وحي والهام .

بروونن

بقي معاصرو بروونن زمناً طويلاً يقولون عنه انه « رجل غامض زفت اليه امرأة شاعرة » ، هي اليصابات بروونن الشاعرة الانكليزية الشهيرة . ولما بلغ الخامسة والثلاثين من عمره كان لايزال مجهولا . ولم يذع صيته الا بعد وفاة زوجته فحمله الوسط الراقي الى الغيوم . اما مؤلفاته الشعرية فتبلغ نحواً من ثلاثين مجلداً .

قال الشاعر الانكليزي تنيسون ان بروونن شاعر غامض . فبعد ان ترسم بروونن خطى شيلي بقصائده الغنائية اللاهوتية ابدع الشعر الدرامي او الدرامي النفساني . وقد اراد الشاعر بطريقته الجديدة هذه ان يظهر للناس تأثير النفس المحجوب فتسال الى الارواح ليدرسها ويكشف خفاياها .

قال غوس ان موهبة بروونن تقوم على الدروس النفسانية العميقة التي لا شبيه لها الا في مؤلفات شكسبير .

وبروونن هو شاعر منطقي عميق يميل الى بحث المسائل المتعلقة بالضمير ، وهو الى ذلك فيلسوف متفائل يؤمن بان الانسانية سائرة الى مستقبل جميل .

شيلي وبروونن

وقد ترجم شيلي الى اللغة الفرنسية فتذوقته صفوة الادباء الفرنسيين وبينهم الكاتب الشهير بول بورجه الذي استوحى شعر شيلي في اولى قصائده التي نشرها عام ١٨٨٢ في مجموعة سماها « التمنيات » .

وكان تأثير الادباء الانكليز شديداً في فرنسا ولا سيا تأثير شيلي وبروونن فانهما مثلا دوراً عظيماً في الحركة الرمزية ظهر اثره في جميع شعراء هذا المذهب . ومن يقرأ قصائد الشاعر الفرنسي بول فور يجد فيها طابع الشعراء الانكليز . وما يقال عن فور يقال عن مالارمه ، زعيم المذهب الرمزي في فرنسا ، وعن فرلين الذي نجد في شعره الرمزي عذوبة الليريسم الانكليزي النقي .

وقصارى القول ان الشعراء الانكليز نبهوا شعراء المذهب الرمزي في فرنسا الى ان الشعر يجب ان يمتزج بالاحلام .

في التربية الاميركية

بقلم الآنسة روز غريب
المدرسة بكلية البنات الاميركية بيروت

١ — النشأة الديمقراطية

نشأت التربية الاميركية بفضل جهود فردية محلية اي بمساعي افراد مستقلين عن الحكومة فكان اساسها ديمقراطياً محلياً ولا تزال حتى الان تصطبغ بصبغة الديمقراطية والنفوذ المحلي . فليس في اميركا نظام واحد بل ان كلاً من الولايات قد انشأت نظامها الخاص وليس للحكومة المركزية في واشنطون سلطة مباشرة على المعاهد بل ان اهل المنطقة الواحدة يحتفظون بحرية واسعة في وضع مناهجهم . واكثر الولايات الشمالية والغربية والوسطى اعتنقت نظام « المدرسة المحلية المستقلة » وهو يعطي كل مدرسة استقلالاً تاماً في انتخاب معلميها وتعيين منهجها وجمع ماليتها . وقد حدث في المدة الاخيرة تدابير ترمي الى ايجاد الصلة او الوحدة بين الكليات المختلفة فانشئت جمعية تمثل كليات الولايات الشمالية واخرى تمثل كليات الولايات الجنوبية وتألفت لجان فاحصة لاجراء امتحانات عامة موحدة بين الطلاب . ولكن رغم هذا لا يزال النفوذ قوياً وللرأي العام في كل منطقة تأثير كبير في مدارسها . اما الجامعات الاميركية فلا تديرها السلطات الحكومية كما في اوروبا بل هيئات تربوية خاصة لا تعد مسؤولة امام الحكومة الا في مقدار قليل جداً . وهذه الهيئات تدعى مجالس امناء مسؤولة مباشرة امام الشعب الذي انتخبها . ان هذا النظام اللامركزي يستند الى النظرية القائلة بتحرير التربية على قدر الامكان من سلطة الحكومة وجعل مديريها مسؤولين رأساً لدى الشعب تعزيزاً لمبدأ الحكم الذاتي ومنعاً للاهواء من ان تمد اصابعها وتلعب دوراً في شؤون التربية او تسخر معاهد العلم لغايات ودعايات حزبية ضيقة .

على ان قوة النفوذ المحلي في المدارس لا تعني اهمال التربية القومية بل الامر بالعكس فاهتمام المدارس الاميركية بالشؤون الاجتماعية لهو معروف ، وتدريسها العلوم الاجتماعية والمدنية والسياسية يؤلف جزءاً شديد الاهمية من برامجها ، والاعمال اللامنهجية التي توجه الطلاب الى الخدمة والاشتراك الفعلي في ترقية المجتمع من ابرز مظاهر هذه الثقافة . وزيادة على هذا نجد ان نمو النزعة الوطنية في الولايات المتحدة بعد الحرب العظمى جعل بين النظامين الاميركي والاوروبي بعض التقارب ومال بالنظام الاميركي الى بعض التمركز وزاد تدخل السلطات التشريعية في شؤون التربية والتضامن بين دوائرها ودوائر الادارة الحكومية . ومن مظاهر هذه النزعة الوطنية ان مدارس الجاليات النازحة حديثاً الى اميركا — التي اعطيت في بدء الامر حرية تامة في انشاء مدارسها وادارتها — اصبحت الان تخضع لتشريع يقضي بجعل اللغة الانكليزية وحدها لغة التدريس فيها ويفرض عليها تدريس تاريخ البلاد وجغرافيتها واحوالها المدنية . على ان هناك توازناً بين نفوذ السلطتين المحلية والمركزية وليس للحكومة سبيل الى الافراط في التنفيذ بل ان حقوق المجتمعات المحلية مضمونة رغم تدخل الحكومة .

٢ — علاقة الكنيسة والاديان بالمدارس

في اميركا — كما في غيرها — نشأت اكثر المدارس بمساعي الاكليروس والجمعيات الدينية ثم تحررت هذه المدارس تدريجياً من نفوذ رجال الدين كما في اوربا . لكن الطوائف تحتفظ بحق التعليم الديني في مدارسها والدستور الاميركي ينص على مبدأي حرية التدين ، وفصل الكنيسة عن الدولة . على ان التدريس الديني يكاد يقتصر على اجتماعات الصباح بما فيها قراءة التوراة وبينما نجد اكثر الولايات تعتنق القانون الذي يحرم التدريس الطائفي نرى من جهة ثانية حركة ترمي الى ادخال تدريس التوراة في المدارس وجعله درساً انتخابياً كما في الكليات والجامعات . بناء على الحرية المتبعة في مسائل الدين وبما ان تدريس الاخلاق او ادب النفس بواسطة الكتب يتنافى ومبادىء التربية الاميركية ، نرى البعض ينتقدون المدارس الاميركية ويتهمونها باللادينية . ومع هذا فالمدارس الاميركية اكثر المدارس نجاحاً في تكوين الاخلاق بشهادة الاوربيين انفسهم . ذلك لان هذه الناحية تشغل المحل الاول في مناهجها اما تدريس الاخلاق فلا يتم بواسطة الكتب او المواعظ بل بالارتباط الوثيق بين دروس الطالب وحياته والاهتمام الشديد بالاعمال التطبيقية والتربية العملية . ثم ان المعلم يشعر ان تكوين الاخلاق اهم مشاغله المدرسية ، والمدرسة تسعى لخلق بيئة مناسبة لتكوين الاخلاق وذلك بالتشديد على اهمية التعاون والمسؤولية عند الطلاب

٣ — طرق التدريس

تحتل العلوم الاجتماعية — ومنها علم النفس وعلم التربية — مكانة هامة في الثقافة الاميركية الحديثة . والاميركيون ينفقون الاموال

الطائلة على انشاء وتجهيز مختبرات علم النفس والتربية وترويج التأليف في هذه العلوم وتطبيقها في معاهد التربية والمؤسسات الاجتماعية ولذا نجد في المدارس الاميركية مجالاً واسعا لتنويع الانظمة والطرق التدريسية وبما ان ادارتها في ايدي السلطات المحلية لا المركزية فليس ما يجبرها على التقيد بتوحيد الطرق ، ولا تضارعها مدارس اخرى في الاقبال على اختبار الطرق الجديدة وبحث المشاكل التربوية والسعي لحلها بمختلف التجارب وعقد المؤتمرات التربوية وتشجيع المقترحات الجديدة واخراج النظريات الى حيز العمل • فكأن نظام التعليم الاميركي مختبر ضخم تجرب فيه انواع الطرق والاساليب ليتوصل من ذلك الى افضلها • والهيئات التدريسية قد اوجدت لهذه الغاية مئات المجلات التربوية وخلقت للمعلمين في اثناء عملهم فرص الدرس المهني والاستفادة من التطورات التربوية الحديثة وهيأت لهم المؤتمرات والمدارس الصيفية • وفي تحضير المدرسين وتلقينهم اصول التعليم يشغل موضوع الطرق التدريسية محلاً ثانويا ويشتد الاهتمام بتدريس علم النفس وطرق الملاحظة، والتمرن على التدريس قبل اتخاذه مهنة واتقان الموضوع المنوي تدريسه، والاشارة الى اهمية النمو المستمر في شخصية المدرس : نموه في فهم الطلاب وفهم موضوعه • اما في اوروبا فيلقن طلاب فن التعليم ما يسمى بالطريقة المثلى للتدريس وعليهم اتباعها والتقيد بها وليس لهذا اثر في مدارس التربية الاميركية فهناك تهتم الدوائر بالاهداف المدرسية اكثر من اهتمامها بالطرق • والطريقة المعول عليها بصورة عامة هي احالة الطالب على جهوده الذاتية ودفعه الى العمل الشخصي وتحمل المسؤولية ومن هنا كان اعتماده على الكتب يفوق اعتماده على المعلم • والتدريس في غرف الدراسة يفسح للطالب مجال اظهار مواهبه بطريقة السؤال والجواب والمناقشة الحرة بين المعلم وطلابه • وقد يطلب المعلم من الطلاب ان ينتقدوا طريقته في التدريس ولا يأنف من العمل باقتراحاتهم او بعضها اذا وافقته ، كما ان المعاهد الكبرى تسأل طلابها احيانا ان يحملوا اليها انتقاداتهم واقتراحاتهم بشأن اهدافها واعمالها •

٤ – مناهج الدرس

يتألف التدريس الاميركي من ثماني سنوات درس ابتدائي بعد دور الحضانة وروضة الاطفال تليها اربع سنوات تدريس ثانوي ثم اربع سنوات في الكلية • وطلاب المهن الحرة يكتفون بسنتي استعداد في الكلية بينما المهن التي دونها طبقة لا تستلزم اكثر من التعليم الثانوي •

وجميع المدارس الابتدائية والثانوية تعطي الطلاب استعداداً واحداً ودروسا واحدة في اساسها اي لا تختلف الا في بعض التفاصيل وهذه الوحدة المنهجية تنشأ عن وحدة الميول الديمقراطية عند الشعب الاميركي وان هذه الميول العامة الشديدة البروز هي التي جعلت عند الاميركيين رغم اختلافاتهم العنصرية وحدة بارزة في اخلاقهم وطرق معيشتهم • تتميز مناهج الدرس عند الاميركيين بالتنوع والمرونة او قابلية التغير والتكيف وللمدرس حق التصرف الى حد ما في الدرس الذي يلقنه والزيادة على المواد الاساسية المقررة وتوسيعها وتعزيزها باستعمال المراجع المتنوعة ودفع الطلاب الى المطالعة الخارجية في الموضوع • والتربية الحديثة تعتبر تنويع المناهج من حق المدارس والطلاب ايضاً لان لكل طالب نزعاته الفردية وميوله الخاصة • وبما ان مادة الدرس تعتبر وسيلة لاغاية والغاية الواحدة يمكن بلوغها بوسائل متنوعة فلماذا نقصرها على درس دون آخر ؟ • وتمتاز المناهج الاميركية باهتمامها الشديد بالعلوم الاجتماعية كالصحة وعلم النفس والعلوم المدنية والاقتصادية وتدبير المنزل وتحسين النسل والعلاقات العائلية وما اشبهها • وقد جرت في تدريس هذه العلوم شوطاً لم تبلغه مدارس اخرى • ومن ميزاتها تقديم الدرس العملي على النظري والتطبيق على القواعد وهي لهذا تحاول ربط دروس الطالب بحياته اليومية وعلى هذا الاساس تعتني اشد الاعتناء بمختبرات العلوم الطبيعية والاجتماعية حيث ينفق الطلاب ساعات طويلة في التطبيق العلمي • وتشجع طلابها على التنقيب الشخصي والرحلات العلمية والتأليف القصصي والمسرحي وانشاء المجلات وان لم ينتجوا شيئاً ذا اهمية في هذا الباب • وتدفعهم الى العمل الاجتماعي وهم طلاب فيقومون بانشاء المدارس المجانية والصيفية وتعليم الاميين ومقابلة الزائرين ومخالطة المجتمع ويقومون برحلات ومقابلات ثقافية وزيارات للاماكن العامة والمتاحف والمعاهد والمحاكم وينظمون الحفلات الخيرية ويجمعون التبرعات وهكذا يعيشون في المدرسة عيشتهم في المستقبل الذين يليها • والخلاصة ان الميزات البارزة في الثقافة الاميركية هي : الاكثار من المواضيع العملية والاجتماعية وتوسيع مادة الدرس القانوني بالمطالعات الخارجية واستخدام المكاتب والمجلات بصورة واسعة • ثم قيام الطلاب انفسهم بالاعمال والمشاريع الثقافية والاهتمام الكثير بالرياضة البدنية باعتبارها وسيلة لتربية الاخلاق والجسم معاً • وتشجيع الابتكار والاعتماد على النفس والتعاون والخدمة الاجتماعية •

روز غريب

الزورق السكران



يازورقي السكران ، يازورقي　　دونك هذا اليم لا تغرق
ارجوحة ؟ ام حلم هائم ؟؟　　على بساط ناعم ازرق
الريح تحدوك الاماني التي　　ناءت بها روحي : ولم تشفق
تحمل امالي الى مغرب　　وتنثني تدفن في المشرق
فداك هذا الموج لو مسه　　قلبي لامسى كالظى المحدق
تنساب مجنوناً على صدره　　وقلبه الجامد لم يخفق
يأسان تقضي العمر في حيرة　　كحيرتي في العالم المغلق
يا زورق يأسك يأسي انا　　وكرهك الدنيا صدى منطقي
وحبك العزلة في لجة　　حمراء حب الشاعر الاحمق
يازورقي دونك ما تشتهي　　في يمك الهادىء !! لا تتق
هيا الى دنيا تتيه المنى　　في جوها العابق بالزنبق
هيا معي نغسل اقذارنا　　في عالم زاهي الرؤى مشرق

. . .

يازورقي السكران　　سر بي عن البر
ضاقت بي الشطآن　　في ميعة العمر
عمري شقاء ملآن　　والآه في صدري
قلبي غدا ظمآن　　للعالم السحري
مل الدنى حيران　　في الحب — في الشعر
والعمر كالدخان　　والعود للقبر
يازورقي السكران　　هيا بنا نجري

. . .

يازورقي السكران يازورقي　　يكفيك لو تجري على ادمعي
شراعك الابيض من حاكه؟　　من زنبقات الصبح والمطلع
مجذافك الابتر من يا ترى؟　　في غفلتي قد سل من اضلعي
يازورقي السكران هيا انطلق　　فالشمس لليائس لم تسطع
وارصد معي الانجم في افقها　　مازلت احدوها ولم تطلع
— لا تلق مرساتك يا زورقي　　في شاطيء الدنيا !! ولا ترجع
واجر معي نرتاد حلو المنى　　من موضع غض الى موضع
يا زورقي دونك عبر الرؤى　　واجر معي في عالم اوسع
نرتاده طيفين في غفلة　　عن ناظر الحساد والمسمع
يا زورقي المنساب في مأمن　　من عاصف عات ومن زعزع
تجنب الانواء حاقت بنا　　وليس من شط ولا مفزع
الغيب يدعوني الى رحلة　　يا حبذا لو كنت تمضي معي !!

محمود عبسي - حمص

أيهما على حق؟

بقلم الآنسة فلك طرزي

ابرز الميزات التي يتصف بها كبار الكتاب ، ميزة تجعلهم مقربين الى كل نفس انسانية مهما كان لونها وصبغتها ، ومهما كان طابع العصر الذي تعيش فيه ، وذلك لان هؤلاء الكتاب يترفعون ، لو انهم يميلون الى جهة دون جهة ، عن كل ما يسمى تميزاً او نزعة عند ما يعبرون عن فكرة او يصورون رأيا او يرسمون الخواطر .

ميزتهم انهم لا يفرضون ميلهم او رأيهم فرضاً عليك ، بل يعرضون لك هذا الرأي دون ان تلمس في هـذا العرض تعصباً يزعجك او الحاحاً في فرضه واملائه يؤذيك . هم يبحثونه من كافة وجوهه ويحللونه ، ثم يضعونك حكماً فاما ان تحكم له واما ان تحكم عليه . وهنا يختلف رجل الفكر عن رجل السياسه . فبينما يتحدث رجل الفكر الى الانسان بصفته انسانا مالكاً كامل حواسه وملكات عقله وتفكيره ، وبينما تنطلق اشعة الفكر من اعماق نفسه التي يجتمع فيها كل ما تزخر به الحياة ومخلوقاتها فتتوزع الانفس شظاياها ، وتتحول الشظية شعلة في كل نفس تصيبها ، يضطر رجل السياسة ان يتحدث احياناً الى الفرد وهو جماهير . والفرد يفقد سلطانه على نفسه ، وتضمحل شخصيته عندمـا يخرج من نطاق وحدته ويتحول الى جماهير ، لان هذه تفنيه فيها ، وتعدمه شخصيته بل شخصيتها تعدم ايضاً وتذوب في شخصية قائدها السياسي . وان شئت ان تتثبت من صحة هذا الامر فتأمل هذا الفرد في الحالتين : في وحدته وفي اندماجه بالجماهير . ثم ميز بين وضعه هنا ووضعه هناك ، يتجل لك الفرق واضحاً بين الوضعين اللذين يلبس لباسهما في كلتا الحالين : فبينما تراه في الحالة الاولى متمتعاً بكامل استقلاله الشخصي : متمتعاً باستقلال تفكيره وفرديته ، متمتعاً بحرية المفاضلة والتمييز ، يتراءى لك في الحالة الثانية وقد فقد جميع هذه الميزات او جلها : فقد فرديته وتفكيره وفقد استقلاله الشخصي فيصبح منقاداً لا قائداً ، منقاداً لهذه الجماهير التي تهتف وتصفق دون ان تدري في معظم الاحيان الداعي لهذا الهتاف والتصفيق ، وهو ايضاً يجاريها في هذا العمل ، دون ان يدري الباعث عليه ، سوى ان الحماس الذي الهبها قد الهبه ايضاً فاندفع متحمساً لها ، يهتف ويصفق . وكثيراً ما يسخر مما هتف له وصفق عند عودته الى نفسه واسترجاعه سلطان عقله وملكاته . وقد قال احد السياسيين : « بقدر ما تسهل الخطابة على الخطيب السياسي ، كلما تكاثرت الجماهير وتوفر عددهـا ، تصعب هـذه الخطابة عليه وتتعقد ان قلت وتضاءلت ! . » ولهذا تستعين الدكتاتوريات بالجماهير لتأييد مذهبها وتثبيته . ثم بينما يعالج المفكر فكرته من كافة نواحيها ، لانه يتحدث الى الفرد من حيث هو انسان يصل حاضر نفسه وماضيها بمستقبلها ، يضطر رجل السياسة احياناً ان لا يتوجه الى الفرد ويتحدث اليه سوى من حيث هو سبيل يضمن لمذهبه السياسي النجاح ، ويمهد له بلوغ الهدف . ولهذا قلما يعيش الفكر الحر في ظل سياسة مستبدة قائمة لغاية معينة ، لا مبنية على اسس الفكر الحر الصريح .

فان قال رينان ان الانسان يدين بجميع المذاهب وذلك حسب وضع الظرف والحال اللذين يوجد فيهما او يجتازهما فلا يوجه قوله هذا الى نفس معينة من النفوس وظرف معين من ظروف الزمن : بل يوجهه الى كل نفس ايا كان ميلها ونزعتها ، والى جميع الازمان ايا كان طابعها وصبغتها . وليس ثبات الانسان على المبدأ والفكرة وليس خضوعه لمعظم ما تخضع اليه الجماعة الا نتيجة من نتائج حياته مع هذه الجماعة ، وخضوعه لقوانين الاجتماع التي تحظر عليه

كل ما من شأنه الاخلال بنظمها وقواعدها . فللانسان شخصيتان : شخصية مستقلة خاصة تكمن في دخيلة ذاته . وشخصية اجتماعية عامة ، هي الشخصية التي تتصل بالجماعة وتتفاهم معها ، وتخضع لما يخضعون اليه من انظمة وقوانين . ومعظم عمل الانسان في الحياة قائم على التوفيق بين هاتين الشخصيتين ، وخلق الصلات بينهما .

وان قال آرسطو ان عقلية الانسان ووجهة نظره يختلفان باختلاف الاوضاع الاجتماعية والسياسية والبيئة والزمن ، فهو يعبر بقوله هذا عن حقيقة خالدة لم تستطع احدث نظريات العلم والاجتماع ان تنال منها بل جميع هذه النظريات جاءت بتأييدها واقرارها . ولعل الثورة الاقتصادية التي عقبت الاكتشافات العلمية ، والفتوحات الجغرافية والتقدم الصناعي ، هذا التقدم الذي احدث انقلاباً في كافة نواحي الحياة ، سواء في حياة الامم الداخلية أم في علاقاتها الخارجية بعضها مع بعض ، لعل هذه الثورة كانت اكبر دعامة لتأييد نظرية المعلم الاول في التطور . فالاقرار بالتحول ، وتوخي الحقائق البشرية الخالدة ، ثم مزجها بالمثل العليا المختلفة ، كل هذا يصل المفكر بكل نفس ، ويجعله حياً على مر العصور .

فعمل المفكر اذن هو التوفيق بين المثل الاعلى والرقي ، بينما ينحصر عمل السياسي ورجل الدولة احياناً في تكييف عمله حسب الواقع . حتى اعنف الاراء السياسية تتخذ طابعاً من السمو والجمال يعلو بها عن مشا كل الحزبية وعنعناتها ، عند ما يعالجها المفكر الحر بالبحث والتحليل . ثم ان رجل السياسة يدين في معظم الاحيان للمفكرين والشعراء بتسجيل وتخليد ما قام به خلال حياته من عمل وما نشر من مذهب . ومثالنا البارز على هذا الامر ، هو صلة المتنبي بسيف الدولة وما نتج عن هذه الصلة من النتائج التي كان لها اثرها العظيم في طبع انتاج شاعرنا الكبير بطابع خاص . فلا يذكر اسم هذا الامير العربي الا مقرونا باسم المتنبي ، بل كثيراً ما تبرز شخصية سيف الدولة وتتوضح من خلال شخصية المتنبي ...

وان خضع المفكر في مختلف اطوار حياته لكل ما يخضع اليه الانسان من اهواء ونزعات فهو في تفكيره لا يكون غالباً الا فيلسوفاً اي مصباحاً يدور حول الفكرة ويدور حتى يسبر غورها ، وينفذ الى دخيلة الاسرار التي تكتنفها . فالفيلسوف اذن يكمن في كل مفكر باحثاً كان أم قصصياً يتحرى الحقيقة وينتزعها انتزاعاً من صميم الاشياء والنفوس . ولا يطلق اسم الفيلسوف على اصحاب النظريات الفلسفية فحسب : انما هو يطلق على كل كاتب تتجلى من خلال سطوره ، محاولة العثور على الحقيقة

اما التساؤل : ايها على حق ؟ فهو لا يتناول بالمفاضلة رجل الفكر ورجل السياسة . بعد ان قارنت بينهما . انما يتناول فكرتين جسمهما هوغو بشخصين يمثلان مذهبين يتشابهان من ناحية ، ويختلفان من نواح : يتشابهان من حيث سعيهما وراء غاية واحدة : هي بث فكرة الاخاء والمساواة بين الناس جميعاً . والاخذ بنصرة الضعيف والنهوض بالمستوى الاجتماعي الى الحد الذي يؤمن له مصالحه وحاجاته المادية والروحية ، ويختلفان من حيث طرق التنفيذ : اما الاول ، فسبيله الى هذه الغاية هو سبيل كله سلام ، يغمر النفس بالطمأنينة لانه سبيل الدين والامان . وأما الاخر فسبيله سبيل الاهوال والمخاطرة الذي يفعم النفس قلقاً ورعباً ، سبيل يشتبك فيه نظامان : نظام رجعي محافظ ونظام تطوري ، وتصطدم فيه عقليتان : عقلية تأبى الخضوع للتطور وتأبى الانعتاق من الماضي وتقاليده ، وعقلية تتخذ من العنف وسيلة لكسر القيود والاغلال والانطلاق الى حيث الحرية والنور ، وسبيلا تندلع من جوانبه النيران وتأتي على ما فيه لتتحول نوراً يكشف عن تطور المستقبل ، ذلك هو سبيل الثورة الذي يختصر سبلا ويقدم تطور الامم . وذلك ما فعلته الثورة الافرنسية في التاريخ .

اما الحديث عن هذين الشخصين وما دار بينهما من حوار ونقاش ، فلعلي اتحدث به الى القارىء في مناسبة ثانية فانقل اليه بعض ما تملكني من هذا السحر الفني الذي تضمنه ذلك المقطع من كتاب « البؤساء »

فلك طرزي — دمشق

مناجل وسنابل

◆

ليس المسكين ذلك الذي يبسط يده ليستجدي أكف المحسنين ، انما المسكين ذلك الذي لا يتمكن من بسط يده مستجدياً – وهو المحتاج – فاذا كنت انسانياً ، فتألم لحالة هذا ، ولا تفكر بذاك !

لم تُجرم الطبيعة أكثر مما اجرمت على صانع فران جائع وخادم خياط عريان !

ما احقر الاسد الذي يحكم الحمار على مقدرته او ضعفه !

كلُّ أبيّ النفس شجاع ، والفرق بين بطل وبطل ذبحة عصفور !

لا تلعن الظلام لانه ابو النور !

لا تدّع صداقة من لا يخفق له قلبك مرتعشاً !

الصداقة كلمة يتسلى بها البشر حتى لا يضجروا من الوقت الممتد بين المهد واللحد !

وراء كل حركة من كل انسان غاية ومأرب !

الاخاء وتنازع البقاء لا يجتمعان !

وجود الغنم علّم الجزار الشجاعة !

ما أسخف من يريد ان يشتري قلباً بصحن فول !

لا فرق في شرع الخلود بين المزايا : فكما اشتهر حاتم بكرمه اشتهر الحطيئة ببخله .

كل مخلوق مستعمِر ومستعمَر من آدم الى الكلب !

القناعة بنت العجز !

لا فرق في شريعة الفاتح بين لحم البشر ولحم البقر !

الحياة مهزلة تنتهي على باب المدفن !

لولا الخوف لكان كل بشري سارقاً وزانياً وسفاك دماء في وقت واحد!

قصة الذئب والحمل على مجرى الماء تتمثل في كل زمان ومكان !

البشر سلّطوا الواسطة حتى في مملكة السماء !

لا فضل لمن ينفع البشر : لان لذته في خدمتهم تفوق لذة من يخدمهم، وتخلق له السيطرة عليهم !

الشهرة قتل لصاحبها في الحياة ، وحياة له في الممات !

شجاعة عنترة وكرم حاتم ذوّبا كل شجاعة وكل كرم في كل بشري ظهر بعدهما !

يحب النـاس بعضهم لمآرب شخصية ، وأشرف تلك المآرب اللذة الروحية المتبادلة ، وهي أشرف الحب ومنتهى الحب !

يجذب الارواح بعضها الى بعض سلك غريب مجهول !

كثيرون هم الذين يخجلون من النـاس ، ولكنّ الذين يخجلون من ضمائرهم قلائل ، فلا تضع يدك الا بيد من يخجل من ضميره !

انا ، اليوم ، ابن امس ، وغداً ابن اليوم !

اكلتُ اللحم في الفرَح فلم اشبع ، واكلت الخبز اليابس في الضيق فاتخمت ، فهل اعتبر ؟

الوفاء ابن الكبرياء وحب الذات !

ليس في الارض والسماء واحد مستقل الا فرد واحد : هو الله !

أنا عبدك ، وانت عبد غيري ، وغيري عبد غيره ، اذا فكلنا عبيد !

القوّة تستعمر بالخوف ، والعقل والجمال يستعمران بالاحترام !

الاباء والذل غريزتان : فلا تجرب ان تجعل من الابي ذليلا ومن الذليل ابياً !

مات معدماً فقدموا لضريحه اكليل زهر بألف ليرة ، وطلب منهم ليرة واحدة في حياته فأعرضوا عنه : أليس هذا تنازع البقاء ، وتكالب البشر ، وفقدان الحب المجرد ؟

لا فرق بين الكريم والبخيل : لان لذة البخيل بخزن المال تساوي لذة الكريم بصرفه !

نجوع فنحب الطعـام ، ونشبع فنكرهه : لذلك فنحن مكّارون لكل جميل !

لا تحترم من ليس له اعداء !

جمال الطاووس خلاصة قبح الغراب !

الخـلاف لا يقع بين اثنين منفردين ، واذا وقع فتكون جرثومته الاولى وجود ثالث !

ما هذا الكون الذي كتب الجحيم لسارق الدجاجة ، والنعيم لسارق الملايين ؟

قال احدهم : مات الحق ! فقلت له : ومتى وُلدَ ليموت ؟

كل العيوب الموجودة في البشر موجودة فيك : فمنتهى الفلسفة ان تنتقد نفسك فتصيب كل البشر !

سمعت ثعلباً يعوي ، فقلت : رحمة الله على الكلب !

التظاهر بعدم حب الظهور هو حب الظهور متطرف !

لما وجد الكون طلبت الحقيقة ان تكون عارية فحرمت هذه النعمة ، وظلت تبكي الى اليوم بثوبها المستعار !

لما بلغت القمة انحدر طموحي الى السفح !

البشر مجروفون بتيار العادة والتصلب ، والعادة والتصلب عدوّا الحق !

عدم الصراحة أرجع البشرية الف قرن الى الوراء في كل يوم !

المساواة كلمة خيالية لفظها قوي فتمسك بها الضعفاء !

المحسن امام الناس طالب عظمة امام الناس ، والمحسن امام نفسه طالب عظمة امام نفسه !

الناس يغوصون في الرذائل ويبشرون بالفضائل !

رأيت بشرياً يقبل يد آخر ، فقلت : هذا صاحب نفوذ ، وذلك محتاج !

من لم يكن من البشر فيلسوفاً كان جملا محملا !

اصحاب الشهرة مآكل طيبة يتزاحم عليها الصائمون على الشهرة !

ان شهوة الانتقام كامنة في كل نفس ، والعفو عند المقدرة أفظع انتقام عرفته البشرية !

اذا قوي الضعيف نسي الذين ساعدوه في محنته واحتقرهم !

ان صاحب الاحساس الناعم يصيب في تصوراته الى درجة الخطأ الفادح !

لا تطلب ثمناً لمعروف تؤديه ، لان كبرياءك دفعت لك هذا الثمن عند التأدية !

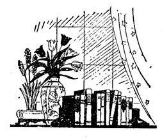
الوهم عدوّ المواهب !

الاجتماع بين العبقري والمعجبين به مبرد حديد يأكل درجات العبقرية !

منذ البدء والبشر ينشرون المواعظ ، ومنذ البدء الى اليوم لم يتعظ احد ! .

وليم صعب

من الادارة



١ ـ ثمن الجزء ٥٠ غ . ل .

٢ ـ بدل الاشتراك لسوريا ولبنان ٦ ليرات لبنانية

٣ ـ لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر كانون الثاني (يناير)

٤ ـ بدل الاشتراك للخارج عموماً جنيه مصري . ويعطي هذا الاشتراك صاحبه الحق في الحصول مجاناً على منشورات الاديب التي تصدر خلال السنة

٥ ـ يدفع بدل الاشتراك مقدماً ولا ينظر الى اي طلب غير مصحوب بالبدل

٦ ـ احتفظت الادارة ببعض اعداد من السنة الاولى (ما عدا الجزء الاول والثاني) فمن ينقصه شيء منها يمكنه ان يطلبها من الادارة .

٧ ـ الادارة مستعدة لشراء أي جزء من اعداد السنة الاولى وتدفع ثمنه ٧٥ غرشاً لبنانياً اذا كان بحالة جيدة .

٨ ـ كل المقالات والابحاث التي ترسل الى «الاديب» لا ترسل الى اصحابها سواء نشرت أو لم تنشر

٩ ـ توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي : مجلة « الاديب » صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت لبنان .

ظمأ

●

اشرب حتى يميدَ الكون

وتختلج زفرة الأبد العابث

وتنتهي الصلاة في الهيكل العظيم

وتشيخ الوردة البيضاء

ويزرقّ الدمُ الاحمر

ويخشع القدر للأزل الصامد

وترفّ المنى حول المنى

في رقصة الحوالك

أشرب حتى تتلاشى الكأس

في النفس الاخير

البير اديب

الوجوه البشرية

اقول الوجوه بصيغة الجمع لان لكل فرد من الناس وجهاً خاصاً يختلف به عن سواه اختلافاً كبيراً او يسيراً . وقلما يتفق للمرء ان يجد وجهين متشابهين كل التشابه الا عند التوائم . قال الشاعر :

انا نحن في اختلاف عقول   مثلما نحن في اختلاف وجوه

وهذا الاختلاف لا ينحصر بعمر من الاعمار او شعب من الشعوب ولهذا كان الوجه اصدق طابع يحمله الانسان للدلالة على شخصيته كما انه خير مرآة تعطيك صورة عن حالات النفس وتأثيراتها . قد يؤخذ رسم الوجه بالتصوير الشمسي او بريشة الصانع الماهر فينقل بدقة ملامح العينين والانف والفم ولكنه لا يقبض على حركات النفس كلها ولا يمثل من الحياة الداخلية الا لحظة قصيرة فتبقى الصورة جامدة بينما الوجه يتبدل من دقيقة الى اخرى بما يتراءى فيه من اشباح العواطف والاحساسات فان زيداً الباكي غير زيد الضاحك على انه يبكي ويضحك بوجه واحد . وبين الرضى والغضب والوجل والخجل حالات شتى ينتقل فيها الوجه من الاحمرار الى الاصفرار ومن الصفاء الى الكدورة عاكساً في مرآته ما يجري في النفس من مختلف الخواطر ، فهو كآلة التلغراف او البرق بل اغرب منها لانك تجد فيه اشكالاً من الاشارات والعلائم والرموز لا تجدها في الآلة

وليست حركات النفس من سرور وكدر هي التي تؤثر وحدها في الوجه فان هذه الصفحة التي تكون بيضاء في بداية الحياة لا تلبث الايام ان تخط فيها رسوماً ، وكلما مر صباح وكرت عشية تركت اثراً حول العيون والشفاه وفوق الجبين والخدود فتبدو على المحيا آثار الالم والخيبة والتعب كانها ندوب جراح قديمة حتى يظهر الوجه احياناً كأنه من المخطوطات البالية تتردد فيها خيالات الماضي وتذكاراته .

من الناس من يستطيع اخفاء ملامحه الحقيقية ، ان لم يكن كلها فبعضها ، اي انه اذا لم يقو على اصلاح ما افسدته الايام فهو قادر على الاقل ان يستر تأثيراته متكلفاً الابتسام في حالة الحزن، والعبوسة لدى الفرح كما يفعل الممثل على الملعب او كما يجري ايام الاعياد والمرافع بما يضع الناس على وجوههم من الاقنعة . يحق للانسان ان يغار على مكنونات نفسه فلا يبيح حماها لاي كان ولا يدع للفضولي سبيلاً الى الاطلاع عليها ولكن ان يكون القناع للرياء والكذب والخداع فهذا ما لا يتفق والغاية من المجتمع الانساني ، ان للغة النطق التي يتعامل بها الناس اختا لا تقل عنها اهمية هي تلك اللغة الصامتة التي تقوم على الملامح والنظرات واذا كان لا بد من قناع فلأخفاء الكآبة والملل التي تبعث على نفور الناس منك وتجعلهم يستثقلون وجودك بينهم . وعلى الانسان ان يكون ذا فراسة ليعرف الصريح من المقنع فلا يؤخذ بحبائل المنافقين ولا تعزب عنه تعاسة الصادقين فيطير الى حاجتهم وما الفائدة من رجل لا يهتم بغيره ولا يسعى ان يعرف ما به من الم وشقاء .

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة   يواسيك او يسليك او يتوجع

على كل حال فالبشاشة لازمة للوجه مهما تكن الحالة النفسانية لان لها منافع كثيرة فهي توحي الصبر والشجاعة والامل وتخلق من حولك جواً حلواً وفي هذا تعزية لك اما الكآبة وانكماش الاسرة فهي تؤذي صاحبها وتؤذي من حوله ولا ازال اذكر حادثة من هذا القبيل فقد رافقني في القطار يوماً رجل غريب كانت ظواهره كلها تدل على عراك عنيف في نفسه فاثر بي منظره وسكوته وبت طوال تلك السفرة مأخوذاً باضطراب خفي لا اعرف ما هو واحسست بجو ثقيل من حولي ورافقني هذا الشعور اياماً مفسداً كل عمل . ان بشاشة الوجه تزيد في حسنه لان الحسن نسبي وكم من الذين لم يقسم لهم حظ كبير من الجمال ويعرفون ان يجدوا سبيلاً الى القلوب فاذا نظروا اليك او حادثوك تجلت روحهم في حركاتهم

واشاراتهم ونظراتهم فسترت عيوب الوجه وخلعت عليهم برداً من الجمال قشيباً .

وقد كان للوجه حظ من كلام العرب وامثالهم فقيل الدنيا اعتاب ووجوه اي هذا بيت عتبته سعد ، وهذا رجل وجهه خير . وقيل وجه الحر اقبح . ويقولون بيض الله وجهه لمن اتى امراً يحمد عليه ،قال الشاعر مادحاً :

بيض الوجوه كريمة احسابهم شم الانوف من الطراز الاولي

وقال ابن الرومي :

وقل من ضمنت خيراً طويته الا وفي وجهه الخير عنوان
له محيا جميل يستدل به على جميل وللبطنان ظهران

وتغزل العرب بالوجه يقوم اكثره على تشبيهه بالشمس والقمر . قال الواحد :

رأيت الهلال على وجهه فلم ادر ايهما انور

وقال الاخر :

نظرت الى من زين الله وجهه فيا نظرة كادت على عاشق تقضي
وكبرت عشرا ثم قلت لصاحبي متى نزل البدر المنير الى الارض

وقال غيره :

رأيت الهلال ووجه الحبيب فكانا هلالين عند النظر
فلم ادر في حيرتي فيهما هلال الدجى من هلال البشر
فلولا التورد في الوجنتين وما راعني من سواد الشعر
لكنت اظن الهلال الحبيب وكنت اظن الحبيب القمر

وقال ابن المعتز :

يا مفردا في الحسن والشكل من دل عينيك على قتلي
البدر من شمس الضحى نوره والشمس من وجهك تستملي

وقال ابو نواس يصف صفاء الوجه ورقة البشرة :

نظرت الى وجهه نظرة فابصرت وجهي في وجهه

وقال آخر :

راق ماء الحياة من وجنتيه فهو مرآة في اوجه العشاق

والذي يسمع هذا البيت :

واستمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

يخيل اليه ان وجه الانسان حديقة من حدائق الجنان فيها من كل فاكهة زوجان .

ان الكلام عن وجوه البشر يسوقنا الى الكلام عن وجوه اخرى هي بشرية ايضاً غير انها لا تتقيد بالمادة ولا ترتبط باللحم والدم . تلك هي الصور الادبية التي تقص لنا حياة الناس واعمالهم . يمكنكم ان تروا رجلاً عظيماً كتشرشل او روزفلت او ستالين لانهم من المعاصرين ولكن اوميرس والاسكندر وافلاطون ومن على شاكلتهم اين تستطيعون ان تروهم وكيف السبيل الى التعرف اليهم ان لم يكن بصورتهم الادبية . هذا هو وجههم الحقيقي الذي يرسمه لنا التاريخ . قد يخطيء المؤرخ كما يخطيء المصور فيأتي الرسم ناقصاً او مشوهاً واذا امكن اصلاح رسم المصور في حينه فرسم التاريخ يستحيل اصلاحه بعد انقطاع العهد ولهذا كان من الواجب على المؤرخ الامانة والدقة فلا يلبس الحقيقة غير لباسها وكم من الكتبة والنقاد في عصرنا هذا من لا يتقيد بهذه الشروط فاذا كتب او انتقد جار عن قصد السبيل وجعل بين الصورة الادبية والحقيقة بوناً نازحاً . رأيت في باريس جملة من المرائي المعروضة في المقاهي والاندية لتسلية الناس فهذه مرآة محدبة وهذه مقعرة وتلك مستطيلة او بيضاوية الشكل فاذا نظر اليها الانسان ارته وجهه مستديراً كقاب الجبن او مسطحاً « كالبنادورة » او مستطيلاً كالشمع او مفلطحاً تبدو فيه العينان كالسطور والفم كشق يتدمن الاذن الى الاذن . هذه المرائي التي تشعر ملامح الوجه هي كالكتّاب الذين يشوهون باقلامهم كل ما يرون . فالله ، الله في الحقيقة ايها الناس وحسب المرء ما يناله من اذى الايام في وجهه المادي لتزيدوا عليه في صورته الادبية . ان وجوه البشر ستفنى وكل الصور المختلفة الالوان المعلقة في المتاحف والتماثيل المنصوبة في الساحات العمومية ستلتقي باصحابها تحت الثرى فاذا هي جماجم خرساء متشابهة اما الوجوه الادبية فهي ميراث العصور الخالد ، مقامها في جدار القلوب وساحات الضمائر ، تردد حديث الزمن الغابر وتنقل خبرة الماضي الى الحاضر .

م. ف.



موكب الحياة

هدية المقتطف — القاهرة

ثمان وثلاثون قصة ، من آداب عالمية شتى ، ومن ازمنة متفاوتة ، تتجمع على اختلاف ألوانها وتباين عبقها لتمثل طابعاً واحداً هو طابع الفكر الانساني الذي يعالج تصوير النفس البشرية في « موكب الحياة » .

هذا هو الكتاب الذي اختارته مجلة المقتطف هدية لقرائها لسنة ١٩٤٢ لقد جمعت بعض ما تفرق من القصص على صفحاتها في كتاب وقدمته للقارىء متاعاً وسلوى ، ونزهة طويلة بين مذاهب التأليف القصصي في العالم ، منذ القرن الثامن عشر الى الان .

وتبدأ هذه النزهة التأريخية خلال القصص ، منذ الوقت الذي حاولت فيه القصة ، مع بقية الفنون الادبية ، التحرر من عبودية الارستقراطية عندما كانت غاية القصص تسلية الملوك وتمجيداً للابطال . وبعد ان مرت الفنون الادبية في عهد العصر الفكتوري في انكلترة بالتقرب الى الشعب بما هو مرغوب عند الجماهير كالاخلاق والعفة والدين وباصطناع النزعة الخيالية في التعبير ، انتقلت هذه الفنون الى عهد جديد مشرق ازيحت فيه الاوهام الشعرية عن حقائق الحياة ، فتحدثت القصة عن الذات البشرية وما يخالجها من آمال وآلام ، آمال الفرد واطواره ، وآلام الباكي الحزين مهما كان تافهاً .

عني الادب بالفرد وتحليل عواطفه وميوله ، غير ان هذا التحليل وإن كان في الاصل واحداً ، تختلف مظاهره باختلاف البيئات وتقدم الزمن ، فتحليل النفس البشرية بدأ اولاً فلسفياً كما رأينا في قصة « الفيلسوف » لفولتير ، عندما ينادي في قصته بتربية العقل ويتحدث عن استحالة التماس الكمال في الحكمة والقوة والقدرة والسعادة .

وترقى علم النفس وأصبحت له ابوابه العلمية وموضوعاته الخاصة ، وابتعد رويداً رويداً عن الفلسفة حتى انفصل عنها ، واتخذه المؤلفون اداة يحللون بها النفس البشرية ويفهمونها بها على ضوء علمي ، الى ان ظهرت « القصة السيكوجية » في الادب الحديث وتتضح صراحة التحليل السيكولوجي وجرأته في قصة « غرور الوهم » لتوماس هاردي ففيها تصوير ممتع عن جهاد النفس عندما يخيب املها في شيء عزيز لديها ، وعن استبداد كثير من الاوهام بعقول بعض الضعفاء حتى يتعذر عليهم الافلات منها . وقد اصبحت الفكرة السيكولوجية لازمة للقصة الحديثة فهي وصف للرغبات النفسية وتحقيق للصلة الوثيقة بين الماضي والحاضر والمستقبل .

وقد رافق هذا النوع من التناول للنفس البشرية اهداف خاصة تقوم بها القصة فتدافع عن فكرة معينة ، اجتماعية او انسانية ، فالقصة كما انها في اهتمامها بأشد مظاهر الحياة الانسانية تفاهة ، وفي دراستها لآلام الساذجين والبائسين كما تدرسها في نفوس الوجهاء والمثقفين ، تؤدي واجباً انسانياً وتقوم بخدمة فكرة نبيلة ، فانها كذلك تتناول هذا الهدف الاجتماعي المقصود وتدور حوله حتى تعلنه محبباً للناس قريباً منهم . ويكثر هذا النوع من القصص في ما يكتبه الروس ، فقصة آسرحدون لتولستوي وقصة الرهان لتشيكوف ثورتان في وجه العبودية والطغيان والجاه . ومن هذا النوع ايضاً قصة « وكانت الذئاب تعوي » لحسين جاهد التركي في دفاعه المجيد عن الحرية الانسانية .

والاساطير نفسها التي كانت قديماً بعيدة عن الحياة الواقعية انقلبت الان في قصص كبار الكتاب لتؤدي افكاراً انسانية بحتة ولتوضح مشاكل اجتماعية ، ففي اسطورة « راحيل امام الله » يصف استيفان زفيج مثلاً رائعاً من امثلة التضحية عندما تزول الغيرة من نفس راحيل تجاه اقوى مثير لهذه الغيرة وعندما يحاول تبيين اثر الماضي في الحاضر . ويتخذ « كالدرون » اسطورة بجاليون وسيلة لعلاج مشكلة الجمال الانساني الذي لا بد ان يزول بعد زمن قصير او طويل . . ووسيلة لعلاج مشكلة الحياة التي لا يجد الفنان سبيلاً الى التخلص منها مهما كان ناجحاً في فنه . وفي اسطورة « جنة العاملين » لطاغور الهندي معالجة للشر والخير وايهما اكثر تقبلاً لدى الانسان ، وتصوير لصلة المرأة بالزينة والتحلي .

والقصة الحديثة التي وجدت مادة طريفة في حياة الدهماء والسذج ، الذين هم في الواقع اطفال كبار ، عنيت بالاطفال الصغار الذين تحفل حياتهم باشتات العواطف البريئة والغرائز الانسانية التي لم تلونها الحياة بمظاهر مصطنعة ، وفي كل ذلك مساعدة على فهم الطبع الانساني عارياً مجرداً . وفي « جراحات المحبة » لاسكار وايلد ، حديث رائع عن الطفل المرح البريء .

وفي هذا الكتاب قسم كبير للقصص العربية او ان شئت ، للقصص المصرية لانه لم يضم قصصاً لكتاب غير مصريين ويشعر القارىء لهذا القسم بالتطور القصصي في مصر منذ الحرب العالمية الاولى شعوراً واضحاً ، فمن العناية اللفظية والاسلوب البليغ ، وتمثر سير القصة في توليد المعاني واختراعها الخيالي . . عند الرافعي ، الى اقحام العلم ونظرياته لتقريبها الى فهم القارىء مثل الكلام عن الاستهواء والعقل الباطن ومشكلة ادمان الكوكايين ، في قصص يعقوب صروف . . حتى نصل الى القصة الفنية عند محمود تيمور في « الجنتلمان » تلك القصة التي تعالج أزمة بين شخص وبين دمية خشبية في مخزن من مخازن القاهرة ، ثم تتبع لحياة هذه الدمية الى ان تموت . . وحتى نصل الى بشر فارس حيث القصة الرمزية .

وان كانت المسرحية قد هضم حقها ، فلم تجد لها مكاناً بين انواع القصص المختلفة في موكب الحياة فلا شك ان المقتطف حين يقوم مع قارئه بهذه النزهة الفكرية الممتعة بين روائع القصص العالمية وبين ازهار شتى من قصص عربية ، يدله على خير مصور لتطور المقتطف الادبي منذ سنة ١٩٠١ ، هذا التطور الذي كان عاملاً قوياً في رقي الادب العربي الحديث .

ومجلة الاديب ، اذ تشكر المقتطف على هديتها ، ترجوان يطرد هذا التطور في سبيل العلم والادب .

ازهار الذكرى

للاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي – القاهرة

خطرات من احداث الحياة ونفحات من تأملات الطبيعة ، نظمها المحامي الاستاذ مصطفى عبد اللطيف السحرتي في باقة شعرية وقدمها تحت عنوان « ازهار الذكرى » وقد افتتحها بتصدير بارع الدكتور احمد زكي ابوشادي . فحلل الديوان تحليل قارىء معجب اشد الاعجاب بقصائد « السحرتي » . وكان مما لاحظه ان المؤلف شاعر مفكر ذو رسالة رفيعة هي رسالة الانسانية التي يؤمن بحقها ايماناً عميقاً ، يدل على ذلك الشعر الانساني الذي يتحلى به الديوان .

ويلمس في شعره التهالك الصوفي على الطبيعة في سذاجة لطيفة ، ولا شك ان العطف الانساني مرافق غالباً للتعلق بروح الطبيعة .

ويتناول السحرتي روح الاصلاح الاجتماعي والديني تناولاً شعرياً ، وذلك من آثار روحه الانسانية ، ويتضح ذلك في قصائده : الراهبة العذراء ، والذكار . وهو في قصائده « كلاب الطريق ، والضرير ، وابن الام ، ووحيدة ، شديد العطف على الضعفاء والبائسين .

ويضم هذا الديوان شعراً وطنياً بعيداً عن التملق والانانية — لانه لون من شعره الانساني – ووصفاً ساخطاً على مظاهر الرذيلة في بيئته .

وقصائده كلها مقطوعات قصيرة يتخللها بعض القصائد التي لا تتقيد بقافية واحدة ولا تعتمد على الوزن الموسيقي المألوف .

وديوان ازهار الذكرى – كما يقول الدكتور ابوشادي – صلوات علوية سهلة سائغة لها براءة الطفولة ، واخيلتها المجنحة واحلامها الاثيرية .

نديم الاطفال

للاساتذة خليل هنداوي ، عبدالوهاب العجيلي ولطفي الصقال

شعر بعض الادباء في مدينة حلب بالنقص الذي يعتري القصص المدرسية حتى تبعد الطفل عنها ، لانه لا يجد فيها ما يجذبه الى قراءتها او يحببه الى الاطلاع عليها ، ومن هنا التفتوا الى محاولة ايجاد « قصص للطفل » تمتاز بالسهولة لتحبب الطفل اليها ، وتحمله بالترغيب ووسائل التشويق ، على المطالعة وحب الكتب .

وقد جعلوا هذه السلسلة ثلاث حلقات ، استقل كل استاذ من المؤلفين بحلقة ، فتناول الاستاذ خليل هنداوي الحلقة الادبية ، والاستاذ عبدالوهاب العجيلي الحلقة التاريخية ، والاستاذ لطفي الصقال الحلقة العلمية .

وبين يدينا الآن جزء من الحلقة التاريخية تدور قصته عن حياة محمد (ص) معروضة عرضاً قريباً متناولاً ، باسلوب بليغ .

على ان الكاتب قد يعلو عن مدارك الطفل في اسلوبه فيورد بعض العبارات التي يضطر الطفل ان يستفسر عن معناها ، فتعرقله عن متابعة القصة ، مثل قوله « تدفع عنهم غائلة الجوع وعادية الشقاء » ، او قد ينصرف احياناً الى وصف الطبيعة وصفاً مملاً للطفل في قصة غايتها التقرب من نفس الطفل . وهذه الملاحظات يزيد من قيمتها انها صدرت من لسان طفل قدمنا له هذه القصة ليقرأها . .

ونرجو من المؤلفين ان يتابعوا عملهم في هذا المشروع القيم ، وان لا ينسوا حياة الطفل البيتية ، وما فيها من حوادث غنية تكون مادة وفيرة لقصة تقدم الى الطفل ، فيتصل بأهله وبالجو الذي يعيش فيه فلا يعييه ان يتابع القصة بخياله لانه هو بطل القصة وهو مؤثر في حوادثها .

علم العربية

الاستاذ رامي رامي – بيروت

هذا كتاب مدرسي وضعه الاستاذ رامي رامي في اربعة اجزاء ، صدر منها الجزء الاول ، وقد اراد مؤلف هذا الكتاب ان يجعل تعلم اللغة العربية قريب التناول ، مشوقاً للطالب ، فوضع كتابه على اسلوب حديث سهل .

ويقسم المؤلف كل جزء من اجزائه الى اربعة اقسام : القسم الاول « الاصواتية » (والصحيح الصوتية لان النسبة تؤخذ من المفرد) ويريد بها ذلك القسم الذي يدرس فيه الطالب لفظ الكلمة وكتابتها الصحيحة . والقسم الثاني اوزان الكلمة اي تركيبها الحرفي . والقسم الثالث الصرف ، والقسم الرابع النحو .

وهو خطوة حميدة في سبيل تبسيط دراسة القواعد العربية وتقديمها الى الطالب الابتدائي على اهون طريقة وايسر اسلوب .

مجلة الجمعية اللبنانية للمهندسين — بيروت

تعمل جمعية المهندسين اللبنانية على توثيق الروابط بين الفنيين بتمهيد اسباب الاتصال ومبادلة الاراء فيما بينهم ، وتسعى في سبيل اعلاء شأن القيمة المهنية وتحسين حالة المهندسين ومساعدتهم في الظروف الاستثنائية ، وتشجع انتشار التعليم الفني واتقانه ، والبحوث العلمية المبنية على اساس فني ، وتدافع عن مصالح مهنة المهندسين المادية والمعنوية .

ومن وسائل تحقيق هذه الاهداف انشاء مجلة تكون لسان حال الجمعية ومسرحاً لاراء اعضائها ، فصدر العدد الاول من هذه المجلة حافلاً بالموضوعات التي تهم المهندسين ، والانظمة والقوانين التي تتعلق بالجمعية . فنرحب بهذه المجلة اجمل ترحيب راجين لها التوفيق في مهمتها .

المانيا في طريق الانهيار

تحية العرب الى الشعوب التي حملت السلاح على المانيا

صدر في كراس الخطابان اللذان القاهما الاستاذ فرج الله الحلو والاستاذ خالد بكداش ، في بيروت ، في مناسبة الاحتفال لذكرى انشاء الجيش الاحمر . وتغلب على كتابة الاستاذ الحلو صيغة منطقية ولهجة هادئة . اما اسلوب الاستاذ بكداش فمعروف بناريته وقوته . ولا شك ان في مادة هذا الكراس ما يكافىء كل من يطالعه .

الصافي النجفي في « الصباح »

توالي زميلتنا « الصباح » جهودها في سبيل خدمة الادب والنهوض به في دمشق ، فقد خصصت عددها الاخير (٢٩ آذار سنة ١٩٤٣) لدراسة تحليلية عن الشاعر الكبير احمد الصافي النجفي قدمها الاستاذ فؤاد الشايب ، وافاض فيها عن اطوار حياة الشاعر ومزاجه والمؤثرات المختلفة التي وجهته في شعره ، والخصائص التي انفرد بها الشاعر .

وقد تخلل هذه الدراسة بعض النماذج من شعر الصافي الجديد .

مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

نيويورك ١ اذار – أميط اللثام عن خبر انتاج سلاح جديد لتدمير الدبابات اخرجته مصانع « الجنرال موتورز » ويعد اقوى ما عرف من السلاح حتى الان ويسمونه « طراد بري » اطلق عليها رمز (م. ا.)

واشنطن ٢ – صرح مدير الاعارة والتأجير في مجلس الشيوخ بانه خلال المدة بين ١١ اذار سنة ١٩٤١ و ٣١ كانون الثاني سنة ١٩٤٣ قد ارسلت الولايات الاميركية المتحدة الى الخارج بما قيمته ٨٩٣٥ مليوناً من الدولارات . مكسيكو – تسافر قريباً بعثة عسكرية مكسيكية الى شمالي افريقيا عن طريق البرازيل ودكار وسيلحق مراقبون عسكريون بالجيش الثامن وبالقوات المتحالفة في تونس .

واشنطن ٣ – اذاعت وزارة الحربية بان عدد الزنوج الذين يعملون الان في جيشها بلغ ٤٥٠ الف رجل منهم ستون الف خارج الولايات المتحدة . بومباي – انتهت الـ ٢١ يوماً التي صامها غاندي وكان اول طعام اعطي له عصير الليمون ، واذيع بلاغ في نيودلهي جاء فيه انه على اثر انتهاء الصيام يمكن استئناف الاجراءات المتعلقة باعتقاله . القاهرة – زارت البعثة العسكرية التركية التي تقوم بزيارة مصر بناء على دعوة السلطات البريطانية منطقة العلمين .

واشنطن ٤ – صرح المستر سمنر ويلز بان اميركا لا تنوي مطلقاً ان تضمن انفسها قواعد دائمة في شمالي افريقيا كما يزعم المحوريون .

نيويورك ٦ – كتب برتيناكس يقول ان الانتصار العظيم الذي احرزه سلاح الطيران الاميركي في غينيا الجديدة الذي يعمل مع الجنرال ماك ارثر احدث اعجاباً كبيراً لدى الاميركيين وهم على صواب بالاعجاب لان الولايات المتحدة لم تبدأ في اعداد العدة جدياً الا في العام ١٩٤٠ .

لندن ٧ – وصلت الى انكلترا قاذفات قنابل منقضة صنعت في الولايات المتحدة لتعزيز السلاح الجوي التابع للاسطول البريطاني ولا يزال طراز هذه الطائرات من الاسرار ولكن الراجح انها ستكون من الانواع المخصصة لعمليات الغزو المنتظرة . استمبول – روى احد القادمين من ايطاليا ان موسوليني اعد اسطولا من البواخر والزوارق الصغيرة ليجلي عليها مجموع سكان جزيرة صقلية في الحالة التي لا يقوى فيها المحور على الصمود في هذه الجزيرة

انقرة ٨ – عقد المجلس الوطني الكبير اجتماعه الاول بعد الانتخابات الاخيرة ، فاعاد انتخاب عبد الخالق رندا رئيساً للمجلس وانتخب المجلس ايضاً عصمت اينونو رئيساً للجمهورية باجماع ٤٣٥ صوتاً وهذه المرة الثالثة التي يعاد فيها انتخابه للرئاسة ، وقد رفع السيد سراج اوغلو استقالة الوزارة الى رئيس الجمهورية فعهد اليه بتأليفها من جديد .

موسكو ٩ – يواصل الماريشال تيموشنكو هجومه العنيف في بحيرة ايلمن وتتقدم القوات الروسية باطراد في مختلف القطاعات رغم حشد الالمان قوات جوية وبرية كبيرة لوقف الزحف الروسي .

لندن ١٠ – ابلغ المقر العام لفرنسا المقاتلة ان وطنيين فرنسيين قتلوا ٢٣ ضابطاً المانياً خلال هجوم على كازينو « ليل » وانسحبوا دون اضرار وحصلت معركة عنيفة في شوارع باريس بين الخفراء الالمان وبين الوطنيين الفرنسيين . موسكو – تقوم في جميع انحاء الاتحاد السوفياتي حركة شعبية لمساعدة سكان المناطق الروسية المحررة ، ويبدي الشعب السوفياتي عطفاً كبيراً على مساعدة اخوانهم الذين نكبوا بالنازية .

لندن ١١ – القى لورد برابتزون خطاباً في ميدان الطرف الاغر بلندن بمناسبة حملة « اجنحة النصر » قال فيه اذا وجب علينا ان نغزو اوربا فينبغي لنا ان نملأ افق السماء بالطائرات واني لآمل ان تمتلىء مطارات القارة قريباً بالطائرات البريطانية والاميركية . واشنطن – اكد المستر سمنر ولز في مجلس النواب الاميركي ان اسبانيا اعطت لكل من الحكومتين انكلترا واميركا تأكيداً قاطعاً بان ما يدخل الى اسبانيا من البترول لن يخرج منها

لندن ١٢ – صرح المستر ستاتينيوس مدير الاعارة والتأجير في اميركا بان النسبة المئوية التي وزعت فيها المواد التابعة لهذا المشروع كانت كما يلي : بريطانيا ٣٨ ، اوستراليا والمحيط الهادي ١٤ ، افريقيا ١٥ ، روسيا ٢٩ ، الاماكن الاخرى ٤ بالمئة .

لندن ١٣ – علمت وكالة الانباء البلجيكية ان الالمان انذروا الاهالي في القرى الواقعة على الساحل البلجيكي ان يكونوا على استعداد لاخلاء قراهم ومنازلهم في مدة لا تتجاوز الساعة في حالة الطوارىء ، كحالة انزال الجيوش الحليفة في الاراضي الاوربية .

لندن ١٤ – اعلن السكرتير البرلماني لوزارة البحرية البريطانية رداً على سؤال وجه اليه في مجلس العموم ان مجموع ما خسره المحور من السفن منذ بداية الحرب الحالية هو ٣ بوارج حربية وبارجة جيب وست حاملات للطائرات و ٣١ طراداً و ١٥٧ مدمرة وقارب طوربيد واربع سفن هجوم و ١٠٤ من السفن الحربية الاخرى منها تسع كاسحات الغام ، ولا يدخل في هذه الخسارة السفن الحربية التي اصيبت بعطب شديد .

واشنطن ١٦ – يواصل المستر ايدن وزير الخارجية البريطانية منذ وصوله الى اميركا اتصالاته بالشخصيات الاميركية الكبيرة وقد اجتمع بالرئيس روزفلت اجتماعاً طويلا ثم اجتمع بالرفيق ليتفينوف سفير روسيا في واشنطن .

الجزائر ١٧ – صرح الاميرال سير اندور كننغهام القائد العام للاساطيل البحرية الحليفة بان نحواً من الف سفينة للحلفاء وصلت الى شمالي افريقيا مخفورة منذ بداية هذه الحملة . بيروت ١٨ – اذاع الجنرال كاترو بياناً باعادة الحياة الدستورية الى لبنان ، وكلف الدكتور ايوب ثابت ليكون رئيساً للدولة ورئيساً للحكومة ، وقد اختار الدكتور ثابت لمعاونته الامير خالد شهاب والاستاذ جواد بولس . شيكاغو ١٨ – خطبت عقيلة الماريشال شان كاي شك فقالت ان الصين ترحب بمحالفة روسيا وغيرها من الدول وتعتبر الحرية العالمية هدفاً لها ، ثم قالت ان الصين بحاجة الى الطائرات ، الطائرات العديدة . سيدني ١٩ – وافق مجلس النواب الاسترالي بعد جلسة دامت ٢٦ ساعة بدون توقف على زيادة رواتب تقاعد الجنود بنسبة ٢٠ بالمئة . لندن ٢٠ – اعلن انضمام غينيا الفرنسية الى اللجنة الوطنية الفرنسية وقد ابرق الجنرال ديغول الى محافظ كايين يقول فيها ان وطنية السكان هي التي دفعت غينيا الفرنسية الى الانضمام الى الامبراطورية التي تحارب من اجل حرية العالم . لندن – بلغت التبرعات هذا الاسبوع لاجل « اجنحة النصر » ١٦٠ مليون ليرة استرلينية .

لندن ٢١ – بدأ الجنرال مونتغمري هجومه على خط ماريث بتونس. انقره – جرى تبادل الاسرى بين الانكليز من جهة والالمان والطليان من جهة ثانية . لندن ٢٢ – حصلت اضطرابات جديدة في « ليون » بفرنسا قتل خلالها الوطنيون عدة ضباط من الالمان . وقد نظم هذه المظاهرات نساء فرنسيات . لندن–شن الامير كيون هجومهم في تونس في الوقت الذي كان الجيش الثامن البريطاني يقوم بهجومه • برن ٢٣–اذاعت وكالة الد . ن . ب ان العمليات توقفت على جبهة الدونتز . وهذا النبأ يتفق ونبأ ورد عن ستوكهلم يفيد ان الروس يهاجمون بحزم من ناحية تشوغياف محبطين محاولات الالمان امبر الدونتز . لندن– هاجمت الطائرات الاميركية قاعدة ولمشاقن الالمانية بنجاح . زوريخ– يتلقى الانصار الفرنسيون المحاربون في السافوى الامدادات الحربية والغذائية . لندن – زارت البعثة العسكرية التركية التي وصلت الى افريقيا الجنرال ايزنهوفير والاميرال كوننغام ومرتال الجو تيدير ومقر القيادة الفرنسية العامة . لندن ٢٤ – اغارت ٣٠٠ قاذفة ذات اربعة محركات على قاعدة سان نازير وكانت الغارة ناجحة • نيويورك– خرقت القوات البريطانية خط ماريث بتونس .

لندن – قطع وزير فيشي في ستوكهولم وجميع موظفي المفوضية علاقاتهم مع فيشي . لندن – اعلن راديو الجه انعدد الفرنسيين الانصار الذين لجأوا لى جبال السافوى بلغ ١٢٠٠٠ مقاتل ضد المحتل . لندن – وصل السيد البير غيغي امين سر اتحاد العمل العام من فرنسا الى لندن واعلن انضمامه وانضمام الطبقة العاملة الى الجنرال ديغول . استنبول – تعترف الصحف الرومانية بقيام مظاهرات ضد الحرب ويسود هذا الروح كل رومانيا ، وشعور التشاؤم يغمر نفوس الشبان وتوزع مناشير معادية للالمان في كل انحاء البلاد الرومانية . دمشق ٢٥ – اعلن الجنرال كاترو عودة الحياة الدستورية الى سوريا وكلف عطا بك الايوبي رئاسة الدولة ورئاسة الحكومة للاشراف على الانتخابات المقبلة . مدريد – استقال عدة موظفين كبار في سفارة فيشي بمدريد والقناصل الفيشيون في برشلونه وبلباو وفالنسيا وملقا وقطعوا علاقاتهم مع فيشي . لندن – عاد سفير اسبانيا في بريطانيا العظمى الى لندن بعد تغيب ثلاثة اشهر . شونغ كنغ – لاول مرة في التاريخ يتناول التجنيد النساء في الصين . ويشمل هذا القانون النساء المتراوحة اعمارهن بين ١٨ و٤٥ سنة للدخول في المصالح الاضافية للجيش لمدة الحرب .

استنبول – حصلت اضطرابات خطيرة في اثينا على اثر محاولة ارسال عمال يونانيين الى المانيا . وقد تظاهر جمهور كبير من العمال والطلاب فاطلق جنود الاحتلال عليهم النار فقتلوا منهم بضع عشرات . لندن – اكتشفت الغستابو منظمة جاسوسية ممتازة التجهيز في قلب الوزارة الخارجية الالمانية وكانت تعمل لحساب روسيا . لندن – وصل من فرنسا الى لندن الجنرال بيه ووضع نفسه حالا تحت تصرف اللجنة القومية واستقبله الجنرال ديغول . لندن ٢٦ – احتج الملك ليوبولد لدى هتلر على ارسال العمال البلجيكيين الى المانيا . القاهرة –قام الملك فيصل الثاني عاهل العراق مع حاشيته بزيارة الى مصر . انقره – جرت مظاهرات ودية نحو تركيا في مجلسي العموم واللوردات البريطانيين . وأعلن زعيم مجلس العموم البريطاني انه تلقى برقية من السيد سراج اوغلو يعلن فيها ان برنامج حكومته الجديدة يقوم على الصداقة الانكليزية – التركية . الجه ٢٧ – أعلن راديو ألجه ان الجنرال كاترو وصل الى مطار البيت الابيض فحياه الجنرال جيرو . فيشي – اعلن راديو فيشي ان اربعة وزراء قد استقالوا من حكومة لافال . لندن ٣٠ – احتل الجيش الثامن خط ماريث بكامله .

تطلب مجلة « الاديب »

بيروت	من	السيد خضر النحاس وعموم الباعة
طرابلس	«	مكتبة زبليط ومن عموم الباعة
زغرتا	«	السيد يوسف بو ديب
حلبا	«	السيد عبدالله محفوض
عاليه	«	مكتبة السيد نجيب سلمان
زحله	«	السيد جوزف مطران
بعلبك	«	السيد علي الاحمر
دمشق	«	السيد عباس الروماني وعموم الباعة والمكاتب
حماه	«	مكتبة السيد عبد الحميد طباع
حمص	«	السيد عبد السلام السباعي السيد توفيق الشامي
دير الزور	«	السيد اديب ماوح
اللاذقيه	«	السيد حنا نصره عكاظ العلمية لصاحبها السيد احمد خالد مترجلي
طرطوس	«	الاستاذ صالح علي
حلب	«	السيد جان رزق‌الله كردي
الباب	«	الشهباء لصاحبها السيد محمد سعيد المكتبي
يافا	«	السادة حنا وجورج بوري
حيفا	«	السيد توفيق زعبلاوي
نابلس	«	السيد ماجد القطب
فلسطين عامة	«	عموم المكاتب والباعة
بغداد الموصل والبصره	«	مكتبة السيد عبد الكريم زاهد وفروعها
مصر	«	عموم المكاتب والباعة

وهي تباع : في سوريا ولبنان بـ ٥٠ غرشاً لبنانياً في العراق بـ ٦٠ فلساً في فلسطين بـ ٨٠ ملاً وفي مصر والسودان بـ ٥ غروش مصرية

الادارة بحاجة الى وكلاء في سائر الجهات